الفصل الثالث

الأوضاع الاجتماعية للبنغال

شكل الهنود والمسلمون غالبية المجتمع البنغالي فترة الحكم الإسلامي مع وجود بعض الأقليات من البارثيين والبرتغاليين، ويركز الفصل على دراسة عناصر المجتمع البنغالي وطبقاته الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم واحتفالاتهم، مع دراسة لوضع المرأة البنغالية وللمؤسسات الاجتماعية.

المجتمع الهندي في البنغال

أولاً : عناصر المجتمع الهندي

شكل الهنود غالبية المجتمع البنغالي فترة الحكم الإسلامي، وأغلبهم من الهندوس مع وجود أقلية بوذية ذاب جزء منها في المجتمع الهندوسي وانجذب جزء آخر للإسلام.[١] وقد جذب وادي الجانج بخصوبته وخيراته العديد من الهجرات والغزوات من الشمال الغربي والشمال الشرقي انتشرت في هذه المنطقة، فنبصر في وادي الجانج مختلف العناصر التي نجدها في تركيب العروق الكثيرة لشبه الجزيرة الهندية، وكان اختلاط هذه العناصر في وادي الجانج أكثر من أي بقعة أخري في الهند.[٢]

---

[١] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , p.٣٤١.

[٢] لوبون، جوستاف: حضارة الهند، ص١٢٤.

كانت البنغال طريقاً هاماً للهجرات المتجهة من الجنوب إلى الشمال والعكس، ويمكن تحديد السلالات الرئيسية في البنغال التي يأتى على رأسها المغادا أو المغة والكوشيكاس الشماليين أو أبناء كوش الذين شكلوا أول إمبراطورية حكمت البنغال. وقد تعرضت البنغال لهجرات قبائل من الشمال غزت الهند عبر نهر الأندوس، ودخلت البنغال عبر نهر جمنا حاملة معها عاداتها وثقافاتها، ولكنها ما لبثت أن انخرطت في تنظيم سلالتي المغة والكوشيكاس، وفي مقابل هجرة هذه القبائل المزارعة إلى البنغال، خرجت من البنغال هجرة بقيادة ملكهم "ميغو كالينجي" حاكم بيهار إلى الشمال للبحث عن أراضي خصبة جديدة، وكان ذلك أول امتزاج بين الآريين الأوائل والدرافيديين الذي شكل المرحلة الوسطي في التغيرات العرقية الهامة في البنغال.

ونجد أثر هذا الامتزاج متفاوتاً في القبائل البنغالية، فالقبائل الأقل امتزاجاً تأتى في نهاية السلم الطبقي مثل الكول والكوروا والموندا وغيرها، وتأتى بعدهم قبائل الميساهار والشامار. وتحتل طوائف الصيادين البايري والبيند والكيويت مكاناً أعلى قليلاً في السلم الطبقي من طوائف الجيالا الرعوية والكيرمي المزارعة، ويعلوهم طائفة التجار الخاتري وملاك الأراضي البابهين محتلين الطبقة العليا للمجتمع، وذلك طبقاً للتنظيم الطبقي المعمول به في شرق الهند ومنها البنغال.[١]

بذلك انقسم المجتمع البنغالي إلى عدة عروق تبعاً للهجرات والغزوات التي اجتاحتها خلال تاريخها الطويل، ونجم عن توالد هذه العروق على نسب متفاوتة ـ مع ملاحظة اختلاف البيئات ـ ظهور عروق ثانوية متعددة، ولكن يغلب العرق

[١] Hewitt, J. F.: The Tribes and Castes of Bengal , Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, (Apr., ١٨٩٣),pp.٢٤٠- ٢٤٢.

الأصفر الدرافيدي على الهنود في البنغال أكثر من العرق الآري الذي لم يكن تأثيره كبيراً بها، بل إن تأثير اختلاط هجرات المسلمين في البنغال كان أكثر من التأثير الآري بها، ويزيد تأثير العرق الدرافيدي من الغرب إلى الشرق، ومن منبع نهر الجانج إلى مصبه.

وعامةً انصهرت هذه العناصر المتعددة في البنغال في بوتقة واحدة لتكون شعباً متجانساً إلى حد كبير، وذلك على عكس أقاليم كثيرة في الهند وجد بها عناصر مختلفة أشد الاختلاف مع تجاورها المكاني، ويعد البنغاليون أنفسهم جنس واحد، وتقترب طبقاتهم الدنيا من العروق الأولي من قدماء الدرافيد والكول.

والدرافيديون هم نتيجة توالد سكان الهند الأصليين والغزاة الصفر الذين أتوا من شمال وادي برهمابوترا الشرقي، ثم من توالد جميع هؤلاء والغزاة التورانيين الذين جاءوا من الشمال الغربي، ويقسم الدرافيديون بحسب النسبة التي تغلب بها عنصرهم الأساسي إلى فرعين: الدرافيديين الأصليين الذين هم نتيجة التوالد الأول والدرافيديين الذين هم نتيجة توالد أولئك والتورانيين.

والكول هم ثالث جماعة عرقية رئيسية في الهند، فتأتي بعد الجماعة التورانية الآرية والجماعة الدرافيدية، والكول هم نتاج اختلاط السكان المحليين مع الغزاة. وتسكن قبائل السانتهال والملير الجبال الواقعة بين بهار والبنغال، ويعدون من الأرومة الكولية، والكول شديدو القِري، فهم يبذلون أرواحهم إذا استجار بهم أحد.[1]

[1] لوبون، جوستاف: حضارة الهند، ص١٢٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٢.

ثانياً : التقسيم الطبقى للهنود في البنغال

خضع الهندوس لنظام طبقات صارم، ترجع نشأته إلى قدوم الآريين إلى الهند الذين اعتقدوا أنهم أسمى من سكان البلاد الدرافيديين والقبائل الأهلية المتخلفة المرتحلة التى تسكن الغابات، ولذلك عملوا على الفصل بينهم بنظام طبقى صارم كان له أعمق الأثر على الحياة الهندية.[١] فقد كان بمثابة القانون الذى حكم الهند بأسرها، ويسمونه "ذار ماشا سترا" أى النصوص العرفية التى توضح ما للطبقات من نظم وواجبات، وقد كتب هذه النصوص رجال من البراهمة من وجهة نظر برهمية خالصة. وأقدم هذه النصوص "تشريع مانو"، وقد أريد به فى بادئ الأمر أن يكون دليلاً لإرشاد البراهمة، ثم تطور ليصبح التشريع الذى يحدد سلوك المجتمع الهندى كله، وعلى الرغم من عدم اعتراف الحكام المسلمين بهذا التشريع إلا إنه كان بمثابة القانون في حدود نظام الطبقات، وقد ازداد هذا النظام الطبقى تشدداً فى العصر الفيدى مع زيادة الاحتكاك بالشعوب الأجنبية، وقد قام النظام الطبقى في العصر الفيدى على أساس اللون ثم أصبح الأساس في العصور الوسطى الهندية هو المولد.[٢]

ويذكر "نهرو" أن نظام الطبقات المتحجر بدأ بخط صارم فصل بين الآريين وغيرهم الذين قسموا إلى العروق الدرافيدية والقبائل الأهلية، وكان الآريون مزارعين، وكانت الزراعة تعد مهنة نبيلة، وكان للمزارع أن يعمل بالكهانة وغيرها،

---

[١] نهرو، جواهر لال: اكتشاف الهند، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م، ص٩٠.

[٢] ديورانت، ول: قصة الحضارة: الهند وجيرانها، مج١، ج٣، بيروت، دار الجيل، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د. ت)، ص١٦٣، ١٦٤.

وقد قصد بالتقسيمات الطبقية تمييز الآريين عن غيرهم، ولكن ما لبث أن طبق على الآريين أنفسهم، فلما تزايد التخصص وتقسيم الأعمال اتخذت الطبقات الجديدة شكل طبقات اجتماعية متحجرة، وبذلك اعتبر نظام الطبقات حلاً سلمياً بدلاً من استئصال شأفة الشعوب المفتوحة، هذا بجانب نزعة العقل الهندى إلى التخصيص وتوزيع العمل.

وتبعاً لذلك انقسم المجتمع الهندى إلى أربع طبقات رئيسية: الطبقة العليا هى طبقة البراهمة، وتليها طبقة الكشتارية وهى طبقة الحكام والمحاربين، وتليها طبقة الفايشيا وتضم التجار والمزارعين والصناع، وتحت هؤلاء تأتى الطبقة الرابعة الشودرا التى تضم الصناع والعمال غير البارعين باستثناء المزارعين، وامتصت طبقة الشودرا عدداً كبيراً من أبناء القبائل الأهلية، وظلت عملية التشرب والامتصاص مستمرة، ولم يحدث التحجر إلا بعد فترة طويلة من الزمن.[١]

وقد تأخر دخول التقسيم الآري للطبقات في البنغال، فقد دخلها مع سيطرة إمبراطورية "جوبتا" على شرق الهند في القرن الخامس الميلادي، ومنذ ذلك الحين خضع المجتمع البنغالي لسيطرة البراهمة، لحصولهم على امتيازات دينية وهيمنة اقتصادية، واحتفظ هندوس البنغال بانتمائاتهم البنغالية، وكان لديهم شعور بالغربة عن سائر هندوس الهند، فالهندوس في البنغال لديهم شخصية مميزة مختلفة عن سائر هندوس الهند.

وظل القسم الأكبر من شرق البنغال محتفظاً بعقائده وعاداته، نظراً لصعوبة الاتصال به من غرب الهند، وكان المجتمع البنغالي قبل ذلك يتكون من "كوما" أو

---

[١] نهرو: اكتشاف الهند، ص٩١، ٩٢.

قبائل تعيش أكثرها في مجتمعات غير متمايزة عن بعضها، وقد بدأ ظهور تقسيمات للأعمال في بعض هذه المجتمعات، وخاصة بين التجار، ولكن هذه التنظيمات الاجتماعية لم يعترف بها من قبل البراهمة.

ويعد التنظيم الطبقي هو حجر الزاوية في المجتمع البنغالي، وقد تطور عن طريق البراهمة الذين استجلبهم ملوك البنغال من غرب وجنوب الهند، وفي ظل هذا التنظيم وُصف السكان المحليين للبنغال بأنهم "شودرا" و"أنتيجا" و"مليشا" و"يبانا"، وعموماً فقد صنف المجتمع البنغالي ـ حتي البراهمة ـ في "جيتوات" طبقاً لمهنهم التي يتوارثونها عبر الأجيال، وقد تكبل هذا التنظيم بكثير من القيود القاسية في تناول الطعام والزواج داخل كل طبقة.

وبذلك لم يكن نظام الطبقات في البنغال وليد تطور داخلي بها، وإنما فرض عليها بسبب سطوة البراهمة الذين قسموا المجتمع إلى براهمة وغير براهمة، وقد اختلفت حياة كل قسم عن الآخر تماماً، وقد ساد هذا النظام من القرن الخامس الميلادي حتي القرن الثالث عشر الميلادي، وفي هذه الفترة كانت الهندوسية هي الديانة السائدة بين الهنود في البنغال.[١] وسنستعرض بالتفصيل طبقات المجتمع الهندي بالبنغال:

البراهمة

تأتى طبقة البراهمة على رأس سائر الطبقات، وهم يعدون أكبر المستفيدين من النظام الطبقي، وقد احتكر البراهمة العلم وحرموه على الطبقات الأخرى، بل ينص تشريع "مانو" على سيادة البرهمى على العالم "إذا ولد البرهمى وضع فى الصف الأول من صفوف الدنيا"، ولصيانة طبقة البراهمة منحت امتيازات عامة وخاصة

[١] Mukherjee, Ramkrishna. Social Background of Bangla Desh. Economic and Political Weekly. Vol. ٧, No. ٥/٧, Annual Number (Feb. ١٩٧٢),p.٢٦٥.

اعتبرت واجباً مقدساً.[١] فالبرهمى لا يدنس بذنب ولو قتل العوالم الثلاثة، ولا تطبق عقوبة القتل عندهم إلا على من يقتل برهمى وهى عندهم من كبائر الآثام التى لا تمحى، أما إذا قتل البرهمى فلا تلزمه إلا كفارة.[٢] وفى مقابل ذلك كانت على البرهمى التزامات، فكان عليه أن يعد نفسه للمهام الكتابية والأدبية والتربوية بدراسة القانون وحفظ كتب الفيدا، وألا يتزوج من خارج طائفته، وعليه مراعاة طقوس دقيقة فى طهارته وطعامه وشرابه.[٣]

وقد استقبلت البنغال في الفترة السابقة للفتح الإسلامي هجرة من البراهمة دخلت في طبقة البراهمة بها، وإن حصلت على امتيازات أعلى من طبقة البراهمة المحليين، وقد حدث هذا في عهد الملك "أديسورا" الذي استقدم خمسة من البراهمة من "قنوج"، وترجح المصادر البنغالية قدومهم في حدود القرنين السابع والثامن الميلاديين، ومنحهم الملك خمس قري استقروا بها هي: "بنساكولي" في "منبهيم"، و"فتاجراما" في "بوردوان"، و"هاريكوتي" في "ميدنابوري"، و"كماكوتي" في "بيردهيم"، و"كانكاجراما" الواقعة بالقرب من "بناكوندا". ويرجع الباحثون سبب هذه الهجرة إلى رغبة الملك "أديسورا" في إيجاد طبقة نقية من البراهمة، وذلك لأن البنغال حتي نهاية العصر الفيدي لم يسكنها قبائل آرية، وهناك سبب آخر قوي وهو رغبة الملك في الوقوف في وجه الديانتين البوذية والجينية التي لقيت رواجاً كبيراً في

---

[١] منودهرما ساسترا: الفقه الهندوسى الأكبر، ثقافة الهند، ديسمبر ١٩٥٢م، مج٣،ع٣، ص٩٨،٩٩.

[٢] البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط٣، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٣م، ص٤٣٣.

[٣] ديورانت، ول: قصة الحضارة: الهند وجيرانها، مج١، ج٣، ص١٦٥:١٦٩.

البنغال[١]، ولذلك عمل ملك البنغال "أديسورا" على رفع البراهمة والكاياثا الكولينا المهاجرين على البراهمة المحليين من أهل البلد.

وقد انقسمت طبقة البراهمة والكاياثا إلى طبقات فرعية توزعت في أقاليم البنغال، وذلك في عهد أسرتي "الفالالا سينا" و"اللكشمانا سينا" إبان القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وأصبح لكل طبقة فرعية تنظيم جماعي خاص، وكان ذلك الأمر من العلامات المميزة للمجتمع البنغالي في العصور الوسطي، وقد تشرف المنحدرون من براهمة وكاياثا الكولينا بأنهم "كولينا"، بينما عرف البراهمة والكاياثا المحليين بأنهم براهمة وكاياثا الفيدا.[٢] وقد ظل هذا الانقسام بينهما حتي يومنا هذا، فحتي الآن لا يتناول البراهمة "الكولينا" الطعام مع البراهمة البنغاليين الذين يأكلون الأسماك، ويعدونهم منحرفين، ولا يطلقون عليهم براهمة.[٣]

وقد تنافست فرقتي "الرادهيا" و"الفاريندرا" من البراهمة على شرف انحدارهم من ذرية البراهمة الخمسة المهاجرين للبنغال، فقد هاجر بعض أبناء هؤلاء البراهمة الخمسة إلى شمال البنغال، ويثبت ذلك منح الملك "كهيتيسورا" حفيد الملك "أديسورا" خمس وستين قرية لخمسة وستين من البراهمة المنحدرين من البراهمة الخمسة، وادعت كلتا الفرقتين إنحدراهما من ذريتهم، ولأن الزواج كان ممنوعاً بين الطائفتين لذلك تطورت كلتاهما بمعزل عن الأخري، وبمرور الوقت اختلفت عاداتهم وتقاليدهم عن بعضهما البعض، ومن أهم النتائج المترتبة على الفتح

---

[١] Paul. Pramode Lal. The Early History of Bengal. The Indian Research Institute. Calcutta. Vol.II.١٩٤٠,p.٣٣,٣٤,٤٠.

[٢] Inden, Ronald B.. Marriage and Rank in Bengali Culture (A History of Caste and Clan in Middle Period Bengal) .University of California Press. ١٩٧٦, p.٥١.

[٣] Ramkrishna Mukherjee, Social Background of Bangla Desh ,p.٢٦٦.

الإسلامي للبنغال أن ظهرت طبقات فرعية مختلطة من الاثنين لمواجهة هذا التحدي، وتم إعادة تنظيم الطبقات الفرعية للبراهمة والكاياثا.

وقد أعقب الفتح الإسلامي لغرب البنغال هجرة العديد من براهمة "الرادهيا" و"الفاريندرا" من شمال وغرب البنغال إلى شرق البنغال الذي ظل ما يقرب من قرن خارج السيطرة الإسلامية، وقد أرسوا سلطتهم على المجتمع الهندي هناك.[١]

وعامةً يمكن تقسيم براهمة البنغال إلى ثلاث طوائف رئيسية:

الأولى: "بانشا غوريا" أو الجماعات الخمس "لغور" أو البراهمة الشماليين، و"السارسواتي" و"كانياكوبجا" و"غورا" و"يتكول" أو براهمة أوريسيا.

الثانية: "بانشا درافيدين" أو الجماعات الخمس للبراهمة الجنوبيين، وهم "كارناتي" و"تايلانجي" أو "أندهره" و"جورجارا" و"درافيرك" و"مهاراشتريا"، وتشكل هاتان الجماعتان البراهمة الخلص الأنقياء.

الثالثة: تدعى هذه الطائفة كونهم براهمة ذو أصول برهمية، ولكنهم انحدروا في طبقتهم لكونهم أصبحوا كهنة لغير الآريين من طبقة الشودرا، ولكن الحقيقة هي رجوع انحدارهم من أصل مختلط، ويرجح انتسابهم إلى كهنة ينتمون إلى الطبقة التي كانوا يخدمونها، ومن الأمثلة على هذه الطائفة براهمة "السكادويبا" الذين ينتمون لأدني طبقة هي طبقة "الفيرنا" أو البراهمة المنحلين، وهم البراهمة المحليون الذين عاشوا في شرق البنغال، وقد حملوا اسم "الماغا"، وقد عمل غالبيتهم بعد ذلك كهنة لعائلات الراجبوت أو كملاك للأراضي أو اشتغلوا في الصيدلة الهندية.[٢]

---

[١] Inden, Ronald B.. OP. Cit., p.٥١.

[٢] Hewitt, J. F.. The Tribes and Castes of Bengal ,pp٢٤٣- ٢٤٥.

وقد احتفظت طبقة البراهمة بمكانتها على رأس المجتمع الهندي في البنغال فترة الحكم الإسلامي لها، ولكنها فقدت كثير من قدسيتها وسلطتها على سائر الطبقات الهندية التي تليها، وخاصة مع انتشار الإسلام بين الطبقات الدنيا في المجتمع البنغالي. هذا وقد انقسم البراهمة إلى فرق عديدة طبقاً لمكانتها، وقد عاشوا في تجمعات منفصلة في المدن والقري.

وقد أمدنا الشاعر "ميكيندرام شاكرافرتي" في مؤلفه "شانديكافيا" بصورة عن مجتمع البراهمة في المجتمع البنغالي، منها وصفه لقطاع من البراهمة يسمي "كيلاستان" أي مكان الارستقراطية، وهو جزء من المدينة يعيش فيه براهمة "الراره" مع معابدهم ومؤسساتهم التعليمية "تول"، والقائم عليها الكاهن الذي يقوم بالإشراف على الشعائر الدينية ومراسم الزواج والوفاة، أما "الجهاتاك" فهو البراهمي الذي يستمد مكانته من قراءة الكتب الدينية "كيلابانجي".

كما يسكن "الكيلاستان" طوائف هامة من البراهمة هم "الفيديا"، وهم الأطباء الذين كان لهم تأثير كبير في المجتمع البنغالي، واشتهر بعضهم بقدرته الخارقة على العلاج، معتمدين على قدرتهم على التأثير في الشفاء، إلا إن عدد منهم برع في العلاج، ونالوا تشجيع الحكام والأمراء المسلمين، من أشهرهم "أنانتاسيان" و"ميكيندا داس" طبيبا السلطانين "باربكشاه" و"حسين شاه"، وقد نالا كثير من تقديرهما، ومن أطبائهم المشهورين أيضاً "كافيراج" الذي نجح في علاج والد الأمير "ميرزا نثان" بعد أن عجز الأطباء عن علاجه.

أما عن نشاطهم اليومي فهم يحتلون منذ استيقاظهم مكان مميز يسمي "تيلاك" يقومون فيه بممارسة نشاطهم، ويرتدون ملبساً مميزاً فيربطون رأسهم بقطعة من القماش، ويلبسون دهوتي حسن المظهر، ويضعون "البوثي" ـ كتاب من سعف

النخيل ـ تحت إبطهم. ويعيش بجوار "الفيديا" في القري طائفة برهمية أخري تسمي "أجارداني"، وهي من طوائف البراهمة الدنيا.

وقد أمدنا الأدب الفيشنوي بصورة متدنية عن البراهمة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وذلك لاتباعهم شهواتهم وإنفاقهم أموالهم بسفاهة على متعهم، إلا إن التاريخ يسجل لنا أسماء عدد من البراهمة كانت لهم بطولات عسكرية وشاركوا في جيوش الزاميندران، ومن أشهر هؤلاء القادة "نيلماني" و"ميخيتي" و"رامجاي" و"هاريناث"، وغيرهم ممن كانوا في جيش "شاند راي" زاميندار "راج محل".[١]

طبقة الكشتارية

طبقة الكشتارية هي طبقة الملوك والأمراء، ويقتصر عملهم على الفروسية والقتال.[٢] وكان لها السلطان على الميدان الفكرى والسياسى في عهد "بوذا"، ولكنها توارت بعد عصر جوبتا، وعلى الرغم من اعتراف البراهمة بمحاربى الراجبوت إلا أن الكشتارية بعد سقوط راجبوتانا لم يلبثوا أن زالت دولتهم.[٣]

وهؤلاء الملوك العظام "المهراجات" تقلصوا إلى ملوك صغار "راجات" تحت الحكم الإسلامي للهند، وقد عد "المهراجات" تجسيد للإله "فشنو" أو الإله "كرشنا"، وكان لهم السلطة المطلقة في حكم الأرض، ولكن سلطة "الراجات" تقلصت كثيراً حتي أنهم كانوا لا يستطيعون إصدار أوامر إلى طبقة البراهمة

---

[١] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , pp.٣٤١ - ٣٤٤.

[٢] عبد الرحمن حمدى: الهند... عقائدها وأساطيرها، دار المعارف، ١٩٧٨م ، ص٤٢،٤٣.

[٣] ديورانت، ول: قصة الحضارة: الهند وجيرانها، مج١، ج٣، ص١٦٩.

والكاياثا، وأصبحت السلطة في يد مجلس "الساماجا" الذي يضم رؤساء العائلات وأساتذة علماء الأنساب "الجهاتاكا" في المقام الأول.

ولم يستطع الراجا أن يصدر أمراً إلا بالرجوع إلى "الساماجا باتي" رئيس المجلس الذي بدوره يأخذ رأي أعضاء المجلس و"الجهاتاكا"، وقد عد "الساماجا" في البنغال في العصور الوسطي من أكثر المجالس تعقيداً، وذلك لاختلاف المفاهيم بين المجتمع الجديد والمجتمع القديم، ولاتخاذ قرار يتوافق مع مفاهيم المجتمع الجديد ومفاهيم المجتمع القديم يكون موضع للضغط على الأهالي.

ويشارك أفراد المجتمع الهندي بالبنغال في نوعين من العبادة: الأولي تسمي "بوجا" وأتباعها من "التاندرا"، وهي تمثل غالبية أفراد المجتمع الهندي، والثانية تسمي "ياجنا" وأتباعها من أصحاب الفيدا، وهي لا تشترك مع قطاعات المجتمع من الجاتي والكولا، ولكن الطبقة العليا منهم يتطلعون في أن يصبحوا موهوبين في الفيدا، وأن يقتدوا بما فيها ليكونوا مثاليين وخيرين.[١]

الكاياثا والفايشيا

يمثل الكاياثا الطبقة الوسطي في المجتمع الهندي، وقد حصلوا على قدر جيد من التعليم، فأغلبهم كان يستطيع القراءة والكتابة، ونالوا فرصتهم في الترقي وإظهار مهارتهم تحت الحكم الإسلامي للبنغال، وقد أظهر حكام البنغال معاملة طيبة تجاههم، وبسبب هذا استطاعوا الترقي في الوظائف الحكومية حتي وصل بعضهم لوظائف الزاميندران وجامعي الضرائب من الفلاحين، وحققوا بذلك ثروات

[١] Inden, Ronald B. . Marriage and Rank in Bengali Culture, pp.٤٥ - ٤٧.

طائلة، كما عملوا في التجارة، واشتهروا بصفة خاصة بتجارة الذهب وإقراض الأموال، ويعيش الكاياثا في جانب واحد في المدن والقري.[١]

أما طبقة الفايشيا التى تتألف من العوام فهم لا يتمتعون بالمزايا الدينية والاجتماعية والاقتصادية للطبقة العليا، إلا أنهم يتميزون عن طبقة الشودرا بحق تملك الأرض، كما يسمح لهم بالتجارة وإقراض الأموال بالفائدة.[٢]

وعمل الفايشيا غالباً كمزارعين وتجار، قاموا بزراعة الأرض وتربية الماشية، وبعضهم كان يتنقل من مكان لآخر لبيع الأحجار الكريمة، وآخرون يتنقلون في رحلات طويلة بالقوارب لبيع البضائع المختلفة، ويعودون محملين بخشب الصندل والأصداف وغيرها. ويعيش الفايشيا في مكان واحد في المدن والقري في قطاعات طبقاً لمهنهم، فالفايشيا المزارعون يعيشون في قطاع واحد، والفايشيا التجار يعيشون متجاورين، ويضم الفايشيا أيضاً طبقات مختلفة من الصناع والفنانين.[٣]

وقد نظمت التجارة والصناعة في الهند على أساس وراثي، فيمتهن الأبناء مهنة الآباء، ومزايا هذا التخصص واضحة حيث أدت إلى شهرة صناعات الهند على مستوي العالم، وقد ظهر التنظيم النقابي للصناع والتجار في الهند منذ زمن بعيد، وقد ذكر "مانو" أن الملك الذي يعرف القانون المقدس يجب أن يلم بقوانين الطبقية والأحياء والنقابات، فيحكم هذه النقابات قوانين خاصة تحترمها السلطة وتطبقها، وقد اتسمت النقابات الحرفية ونقابات التجار بسيادة التضامن والتعاون بينها، وتقوم هذه النقابات بالدفاع عن مصالح أعضائها، ومراقبة أنشطة الطبقات المهنية

---

[١] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , pp.٣٤٤ - ٣٤٧.

[٢] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، ص٢٨.

[٣] Abdur Rahim, Mohammad. OP. Cit., pp.٣٤٤ - ٣٤٧.

والحرفية في المجتمع، ومن الجدير بالذكر أن التنظيمات الطبقية بشأن متابعة الحرف لم تكن قائمة على مبادئ اقتصادية فقط بل أيضاً على مبادئ أخلاقية.[١] وقد رأينا في الفصل السابق مدي قوة وازدهار الصناعة في البنغال في مختلف المجالات من صناعة النسيج والصناعات الفخارية والمعدنية والخشبية وغيرها، وقد اعتمدت في ذلك على الصناع البنغاليين المهرة بتنظيماتهم النقابية المحكمة.

الشودرا

احتلت طبقة الشودرا آخر السلم الطبقي الهندي، وليس لأفرادها مهنة خاصة، ولم يعترف لهم بعمل إلا خدمة الطوائف السابقة فى أخس حاجاتها.[٢] وهم سكان البلاد الأصليون الذين أخضعهم الآريون وجردوهم من ممتلكاتهم ونزلوا بهم إلى أدنى مستوى، ومنهم من لجأ إلى الغابات والجبال المنيعة حيث عاشوا عيشة بدائية منعزلة، ولجأ فريق آخر إلى عيشة التجوال، ومنهم نشأت القبائل الرحل التى كانت تجوب الهند، واتخذ كثير منهم السرقة سبيلاً للرزق، وقد ركن الباقون للإقامة بالقرب من المدن الكبرى يعيشون فى فقر مدقع، ويمارسون أحقر المهن كالزبالين والشحاذين والحواة والرقاصين وغيرهم.[٣]

---

[١] جارات: تراث الهند، ، ترجمة جلال السيد الحفناوي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلي للثقافة،القاهرة، ٢٠٠٥م ، ص٩٩، ١٠٠، ١٠٦.

[٢] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص٢٨.

٣ البعثة الأزهرية إلى الهند: دراسة لأحوال الطوائف والهيئات الإسلامية بالهند وبحث في شؤون المنبوذين ومبلغ استعدادهم لاعتناق الإسلام، تقرير مرفوع إلى شيخ الجامع الأزهر وجماعة كبار العلماء، القاهرة، مطبعة حجازى، (د. ت)، ص٧١.

وقد قسمت كتب الشريعة التي كتبها البراهمة طبقة الشودرا في البنغال إلى ست وثلاثين طبقة فرعية، يترأسهم عشرون من الشودرا النقية أو "السات"، والباقون ينقسمون بين الشودرا المادهياما أو المتوسطة والشودرا الإدهاما أو "أسات" وهي الشودرا الدنيا.[١]

وبذلك انقسمت الشودرا لطائفتين: طائفة المنبوذين، والطائفة الثانية أعلى منها وتسمى " الشودرا النقية" وهى التى تحترف الصناعة والتجارة فى المدن والخدمة فى المنازل، وهي دعامة الصناعة الهندية، ويجوز لمس هذا الفريق، ولكن سواد الشودرا يعدون أنجاساً لا يجوز لمسهم وهؤلاء هم المنبوذون، وإذا لمس رجل من الطبقة العليا منبوذاً أصبح جسمه وملابسه نجسة، وعليه أن يغتسل فى نهر الكنج ليتطهر، ومن المنبوذين طبقة لا يجوز الاقتراب من أفرادها حتى لا تتلوث أنفاسهم، كما يحرم النظر إليهم، ويعاقب المنبوذ عقاباً صارماً إذا خرج عن ذلك.[٢]

وقد انقسمت طبقة الشودرا في البنغال طبقاً لمهنهم، فقد عمل بعضهم مزارعين أو عمال أو صيادي السمك، كما كان منهم الحلاقون وصانعو السجاد والغزالون وصانعو الفخار وغيرهم، وكانوا يعيشون خارج المدن والقري في أماكن مختلفة طبقاً لمهنهم.[٣]

ولا يجرى في الشودرا الدم الآرى على الإطلاق، ولذلك فهم يعدونهم خطر على الدم الآرى، وشددت شريعة "مانو" على عدم الزواج منهم، ومما جاء فى شريعة "مانو" "يجب على الشودرى أن يمتثل امتثالاً مطلقاً لأوامر البراهمة"، "خدمة

---

[١] Inden, Ronald B.. Marriage and Rank in Bengali Culture , p.٥١.

[٢] البعثة الأزهرية إلى الهند: المرجع نفسه ، ص٧٣، ٧٤.

[٣] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , p.٣٤٧.

الشودرى للبراهمة هى أفضل عمل يحمد عليه"، "لا يجوز للشودرى أن يجمع ثروة زائدة، ولو كان على ذلك من القادرين، فالشودرى إذا جمع مالاً آذى البراهمة بقحته".[١]

كما فرض "مانو" مجموعة من العقوبات القاسية على كل منبوذ يحاول أن ينال قسطاً من التعليم، بأن يصب الرصاص المصهور في أذنى المنبوذ الذى يسمع ـ ولو عن غير قصد ـ نصوص الفيدا وهى تتلى.[٢] وقد دخلت أعداد كبيرة من المنبوذين في البنغال في الإسلام، فقد اجتذبتهم فكرة الإخاء والمساواة، كما أنهم بدخولهم في الإسلام تحرروا من وضعهم المتدني في المجتمع الهندي.[٣]

ومن أهم التأثيرات الإسلامية على المجتمع الهندي في البنغال تحديد السلطات المطلقة لطبقة البراهمة، فغالبية المجتمع الهندي ـ متضمنة قطاع كبير من البراهمة ـ أعادت تنظيم حياتها الاجتماعية.[٤] ولم تكن قوة التوحد البنغالية أقوي من قوة التغيير، وكان لظهور الحركات الإصلاحية الهندية المتأثرة بالإسلام مثل حركة البهاكتي أثر كبير في تدعيم العلاقات بين المسلمين والهندوس.[٥] وعدت "الفيشنوية" من أهم الحركات الإصلاحية الهندية التي ظهرت في البنغال متأثرة بتعاليم الإسلام.[٦]

---

[١] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، ص٣٠.

[٢] البعثة الأزهرية إلى الهند: دراسة لأحوال الطوائف والهيئات الإسلامية بالهند، ص٧٤.

[٣] نهرو: اكتشاف الهند، ص١٦٠.

[٤] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal, p.٣٤٩.

[٥] Mukherjee, Ramkrishna. Social Background of Bangla Desh ,p.٢٦٦.

[٦] Abdur Rahim, Mohammad. OP.Cit., p.٣٤٩.

وقد أحدث الفتح الإسلامي للبنغال هزة عنيفة للمجتمع الهندي بها، ففقدت طبقة البراهمة قوتها وسلطتها على المجتمع، وأصبح لكل من البراهمة والشودرا جشع شديد لتحقيق الثروة، وانقسم الناس ما بين "كولينا" و"سروتيا"، وأصبح للناس من أي جماعة حرية الزواج من "الكولينا"، وأصبحوا فخورين بتسمية أنفسهم "سروتيا"، واستطاعت جماعة من الطبقة الدنيا أن تحقق ثروة وتمتلك قوة، وأهمل العمل بتعاليم الفيدا، كما وصلت طبقة من الهنود لمكانة عالية لشغل وظائف هامة في الدولة، فمنهم من عملوا كوزراء وموظفين في البلاط السلطاني، وأطلق عليهم "راي رايان"، وانتشرت هذه الطائفة مع إخوتهم وأتباعهم في البنغال كلها، وتعاونوا مع الحكام المسلمين الذين أصبح ولائهم لهم، واستعان بهم المسلمون في وظائف متعددة، فعملوا كجامعي للضرائب، وفي تزويد الجيش السلطاني بالإمدادات، كما استعان الحكام المسلمون بخبرة البراهمة في كثير من الوظائف.

وبزيادة التعاون بين كلا الطرفين المسلمين والهندوس اندمج الاثنان في مجتمع واحد، فالمسلمون ينظرون باحترام إلى الهندوس، والاستعانة بهم في كثير من الأعمال، والتزاوج منهم، والهندوس ينظرون إلى الحاكم المسلم بكثير من الاحترام، فهو مماثل "للمهراجا" في سلطته على المجتمع الهندي، وقد أدي هذا التعاون العظيم بين قطبي المجتمع إلى ازدهار البنغال فترة الحكم الإسلامي.[١]

هذا عن الهندوسية أما البوذية فقد سادت في البنغال ما يقرب من أربعة قرون[٢]، وكان للبوذية أتباع كثيرين قبل الفتح الإسلامى للبنغال وبيهار، حيث ضمتا معاهد

---

[١] Inden, Ronald B.. Marriage and Rank in Bengali Culture , pp.٧٣-٧٦.

[٢] Inden,Ronald. OP.Cit., p.٤٧.

علمية عظيمة للبوذية.[١] وكانت "نالاندا" من أهم مراكز تدريس البوذية في الهند، وقد توافد إليها الرهبان البوذيون من الهند والصين للدراسة على أساتذتها المشهورين.[٢] وبذلك حظيت البوذية بانتشار واسع في البنغال حتي سقوط مملكة "بالا"، واعتلاء الأسرة الملكية "سينا" عرش "غور"، وهي أسرة هندوسية متشددة، بدأت البوذية من بعدها في التناقص سريعاً، وشكل الهندوس الأغلبية العظمي المؤثرة في القوة السياسية والوضع الاجتماعي والحياة الاقتصادية. ولكن الوضع اختلف في شرق البنغال عن غربها، فشرق البنغال لم يخضع لغرب البنغال نظراً لصعوبة الاتصال به، وعلى العكس من ذلك كان أكثر صلة بآسام، وقد انتشرت به الديانة البوذية، وقد صاغت البوذية دينها الجديد على المجتمعات القبلية القائمة، والتي لم تغير أنشطتها الاقتصادية، وطوروا مذهب جديد هو "الساهاجيا".[٣]

المجتمع الإسلامي في البنغال

أولاً: عناصر المجتمع الإسلامي في البنغال

لم يكن الفتح الإسلامي للبنغال مجرد فتحاً عسكرياً وتأسيس قوة سياسية بها، وإنما قدم الفاتحون الجدد مثالاً للسلام والمساواة بين الديانات ومختلف العناصر والطبقات والثقافات، وبذلك لم يكتسبوا أفراداً جدداً في المجتمع الإسلامي فقط، وإنما أيضاً أحدثوا ثورة في المجتمع البنغالي بما قدموه من أفكار جديدة للنظام الاجتماعي.[٤]

---

[١] Mahajan, Vidia Dahar. Muslim Rule in India,p.١٥.

[٢] Bagchi, Prabodha Chandra. India and China (A Thousand years of Sino – Indian cultural contact) China Press Limited. Calcutta,١٩٤٤, p.٧٧, ٧٨.

[٣] Mukherjee, Ramkrishna. Social Background of Bangla Desh ,p.٢٦٥.

[٤] Abdu Rahim. Social and Cultural History of Bengal, vol.١,p.٣٥.

ولقد انقسم المسلمون في البنغال إلى قسمين: القسم الأول: المسلمون الوافدون الذين تكونوا أساساً من الأتراك والأفغان والفرس والعرب والأحباش. أما القسم الثاني فيضم المسلمون المحليون، وهم البنغاليون الذين دخلوا في الإسلام، ويشكل المولدون جزءاً كبيراً من المسلمين المحليين، وهم نتاج زاوج المسلمين الوافدين من السيدات الهنديات.

ويعد غالبية المسلمين في البنغال من البنغاليين الذين أسلموا، والأقلية هم المسلمون المهاجرون إليها الذين تدفقوا إلي البنغال من شمال غرب الهند، وأغلبهم من النبلاء والسلالات الحاكمة التي حكمت البنغال عدة قرون وأتباعهم من الأمراء والجنود، كما توافد العرب والفرس إلى موانئ البنغال وخاصة "شيتاجونج" كبحارة وتجار.[١]

المسلمون المهاجرون إلى البنغال

أسباب هجرة المسلمين إلى البنغال:

١. **ثروات البنغال:** تمتعت البنغال بجاذبية كبيرة للمهاجرين بسبب كثرة مصادرها الطبيعية وثرواتها ووفرة أراضيها الصالحة لاستقرار القادمين الجدد.

[١] Playne, Somerset. Bengal and Assam. Behar and Orissa. London. ١٩١٧, p. ٤٣,٤٤.

٢. **الأمان والاستقرار**: عاشت البنغال تحت حكم سلاطينها في أمان واستقرار؛ لبعدها عن تأثير التهديدات المغولية القادمة من الشمال الغربي، وأيضاً لبعدها عن الصراعات السياسية في "دهلي".

٣. **تشجيع سلاطين البنغال لهجرة المسلمين**: فتح سلاطين البنغال أبواب البلاد على مصراعيها لاستقبال أعداد كبيرة من المسلمين من مختلف البلدان، فقد قاموا بتشجيع هجرة المسلمين إلى بلادهم وخاصة من ينتمى إلى عرقهم وبلدهم، ولا يعني سقوط دولة سياسياً انسحاب أمرائها وسائر أجناسهم من البنغال، وإنما كان ينسحب فقط المبرزون في الحياة السياسية وأصحاب المناصب العليا من المدن الرئيسية، ويحل محلهم أفراد الأسرة المالكة الجديدة وقادتها وأمرائها، وبذلك استقرت أعداد كبيرة من المهاجرين من عناصر مختلفة في البنغال، وقد شجعهم على ذلك تشجيع حكام البنغال المسلمين لهم ومنحهم الأراضي والمساعدات لأسر الأمراء والعلماء المهاجرين.[١]

٤. **الرغبة في نشر الإسلام**: توافد إلى البنغال كثير من العلماء والدعاة لنشر الإسلام بها.

استقبلت البنغال كثير من هجرات المسلمين إليها على مدار الحكم الإسلامي لها الذي استمر أكثر من خمسة قرون ونصف، وقد استقر هؤلاء المهاجرون بها، وكان لهم تأثير سياسي واجتماعي واقتصادي كبير في المجتمع البنغالي، كما كان لهجرة المسلمين داخل البنغال دور كبير في نشر الإسلام بها، فلم يتم فتح البنغال جملة

[١] محمد مهر علي: انتشار الإسلام في بنجلاديش وغربي البنغال، ص٢٦١، ٢٦٢.

واحدة، وإنما تم تدريجياً على مدار تاريخها الإسلامي، وكان لهجرة المسلمين من المناطق التي فتحت سابقاً للمناطق التي فتحت لاحقاً دور كبير في انتشار الإسلام بالمناطق الحديثة العهد بالإسلام، فكان لهجرة المسلمين من "غور" إلى آسام واستقرارهم بها دور كبير في انتشار الإسلام في آسام لاندماجهم بالسكان المحليين، وتثقفهم بالثقافة الآسامية، وقد سموا "غاريا"، كما استقبلت أعداد كبيرة من هجرات المسلمين من بنغال الشرقية وبيهار.

ولقد استقبلت البنغال أعداداً كثيرة من هجرات المسلمين الذين استقروا بها، وكونوا جاليات إسلامية في مناطق كثيرة بها، وقد تزوجوا من النساء المحليات، وأقاموا المساجد، وسعوا لنشر الإسلام، من ذلك استقرار أعداد كبيرة من الجنود المسلمين في وادي براهمابوترا عقب فتوحات "محمد بن بختيار خلجي" ومن تبعه من الحكام منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وقد تزوجوا من النساء المحليات، وأقاموا جاليات لهم في المدن البنغالية، من ذلك تأسيس أول جالية إسلامية في مدينة "هاجو" في "كمروب" عقب فتح السلطان "علاء الدين حسين شاه" لها سنة (٩٠٤هـ / ١٤٩٨م)، وأسس الشيخ "غياث الدين أولياء" أول مسجد بها، وقد تزايدت أعداد المهاجرين إليها تدريجياً.[١]

ومن أهم النتائج التي ترتبت على هجرة هذه العناصر العديدة من الخلج والأتراك والعرب والفرس والأفغان والمغول والأحباش إلى البنغال إثراء الحياة الاجتماعية والثقافية لها، وإدخال رياح جديدة من المتغيرات إلى المجتمع البنغالي، مما أدي إلى إثراء الحضارة والثقافة البنغالية.

---

[١] إشفاق: شمال شرق الهند: منطقة ثقافية متنوعة موغلة في القدم، ثقافة الهند، مج٥٥، ع٤، ٢٠٠٤م، ص٢٥٦.

وأهم عناصر المسلمين الوافدين إلى البنغال:

(١) الخلج[١]

كان أوائل الفاتحين المسلمين للبنغال من الخلج، فقد قام "محمد بن بختيار الخلجي" بفتح البنغال بجيشه المكون من الخلج والأتراك[٢]، فدخلت معه أعداد كبيرة من الخلج إلى البنغال، ويمكن تقدير هذه الأعداد بما ذكرته المصادر عن اصطحابه لقوة من اثني عشرة ألف جندي في حملته إلى التبت، وإن لم يعد معه إلا قليل منهم.[٣]

وكان للقادة الخلج دور كبير في الحياة السياسية للبنغال في الفترة التي أعقبت الفتح الإسلامي، فبعد وفاة "محمد بن بختيار" قاموا باختيار أحد أهم قواده وهو "محمد شيران"، وبعد مقتله تولى "غياث الدين إيواز خلجي" حكم البنغال حتي

---

[١] يري البعض أن الخلجيين من أصل تركي، وفي رأي آخر أنهم من أصل أفغاني، وهناك رأي ثالث أنهم ينتسبون إلى "قلج خان" أحد أصهار "جنكيز خان"، قدم إلى جبال الغور بعد هزيمة "خوارزم شاه"، وحرف اسمه بعد ذلك إلى خلج، وقيل لورثته الخلجيون، وقد اعتنقوا الإسلام في عهد سلاطين الغزنويين.* وسكنت قبائلهم بجوار "غزنة".**

(*عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص٧١.

**منهاج سراج جوزجاني: طبقات ناصري، ج١، ص١٤٦.)

[٢] منهاج سراج: المصدر نفسه، ج١، ص١٤٧، ١٤٨.

Abdul – Qadir Ibn-I-Muluk Shah. Muntakhabu-T-Tawarikh,p.٨٢.

Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslims of Bengal. Vol. ١,p.٥٠.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultanate, p.٣.

[٣] منهاج سراج: المصدر نفسه ، ج١، ص١٥٣.

Abdul – Qadir Ibn-I-Muluk Shah. OP.Cit.,pp.٨٣- ٨٥.

Ali, Muhammad Mohar. OP.Cit.. Vol. ١,pp.٦٦ - ٦٨.

عين السلطان "قطب الدين أيبك" "علي مردان" حاكماً على البنغال.[١] وبسبب طغيانه قام أمرائه الخلج بقتله، وولوا مكانه "إيواز خلجي" على حكم البنغال[٢]، وقد استمر في الحكم حتي مقتله.[٣]

وبذلك سيطر أمراء الخلج على حكم البنغال ما يقرب من عشرين سنة منذ فتحها على يد "محمد بن بختيار الخلجي" حتي مقتل "إيواز الخلجي"، وتولي الحكم خلال هذه الفترة أربعة من قادة الخلج، وكان لأمرائهم دور كبير في تولية وعزل حكامهم، وقد شكلوا أول طبقة عليا مسلمة حاكمة في البنغال.

(٢) الأتراك

تولت عناصر من الأتراك حكم البنغال بعد الخلج حتي نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وذلك لخضوع البنغال لسلطنة "دهلي" فترة طويلة، تولى خلالها عدد من الولاة الأتراك، فقد حكم البنغال من بعد "غياث الدين

---

[١] منهاج سراج: طبقات ناصري، ج١، ص١٥٧، ١٥٨. الهروي: طبقات أكبري، ج١، ص٦٢، ٦٣.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultanate, p.١٨,١٩.

Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslims of Bengal. Vol. ١,p.٧٥,٧٦.

[٢] منهاج سراج: المصدر نفسه، ج١، ص١٦٠.

Abdul – Qadir Ibn-I-Muluk Shah. Muntakhabu-T-Tawarikh,p.٨٦.

Salim, Ghulam Husain. The Riyazu S Salatin,p.٧٠.

[٣] منهاج سراج: المصدر نفسه، ج١، ص١٦٣، ١٦٤، ١٨٠، ١٨١. الهروي: المصدر نفسه، ج١، ص٦٨.

Abdul – Qadir Ibn-I-Muluk Shah. OP.Cit.,p.٨٦,٨٧,٩١.

Salim, Ghulam Husain. OP.Cit.,p.٧٢.

Ali, Muhammad Mohar. OP.Cit.. Vol. ١,p.٩٠.

إيواز الخلجي" حتي السلطان "إلياس شاه" سبعة عشر حاكماً، وكان غالبية هؤلاء الحكام من أبناء ومماليك البلاط السلطاني في "دهلي".[١] وأشهرهم السلطان "ناصر الدين محمود بن السلطان إيلتمش" و"عز الدين طوغان خان" و"ملك قرابيك" و"ملك مغيث الدين أوزبك" و"طغرل خان" والسلطان "نصير الدين بغراخان بن السلطان بلبن" وابنه "شمس الدين فيروز شاه" وابنه "بهادر شاه".

وكان للتقلبات السياسية في "دهلى" أثرها في تزايد هجرات اللاجئين السياسيين إلى البنغال، فقد نتج عن سيطرة الخلجيين على حكم "دهلي" هجرة كثير من أمراء الأتراك لأسرة "بلبن" المخلوعة إلى البنغال تحت حماية "بغراخان"، كما قام الحكام الخلجيون بطرد بقية الأمراء البلبانيين وأتباعهم إلى البنغال للمحافظة على استقرار حكمهم، فقد أرسل السلطان "جلال الدين فيروز شاه" عدداً من السفن المملوءة بغير المرغوب فيهم إلى البنغال، ويقدر عددهم بالآلاف.

وقد قام هؤلاء المهاجرين بدور هام في توسيع حدود البنغال الإسلامية، إذ قام سلاطين البنغال بامتصاص الهجرات الواسعة النطاق إلى البلاد بضم هؤلاء الأمراء للجيش والاستفادة منهم في الحروب على الحدود، ويستدل على كثرة الأمراء الأتراك في البنغال لقب السلطان "كيكاوس" "سيد أمراء الترك والفرس".

ولقد تسببت إطاحة الطغلقيين بالخلجيين من حكم "دهلى" هجرة موجة أخري من الأمراء إلى البنغال، وكثيراً ما كانت تؤدي المنافسات المستعرة بين التغلقيين أنفسهم إلى نفس النتيجة، فقد أنزل السلطان "غياث الدين تغلق" عقوبات

---

[١] Hussain, Syed Ejaz. OP.Cit., p.٣٦.

قاسية على أتباع ابنه المتمرد "جوناهان"، وقد استطاعوا الهروب إلى السلطان "شمس الدين بن ناصر الدين بغراخان"، وصاروا ضمن بلاطه في البنغال.[١]

(٣) العرب

كان للعرب وخاصة عرب البحرين وسائر بلدان الخليج العربي وعمان نشاط كبير في الملاحة البحرية والتجارة مع البنغال، واستمر نشاطهم البحري منذ العصور القديمة وبعد ظهور الإسلام.[٢] وكان للعرب دور كبير في دخول الإسلام البنغال قبل الفتوحات الإسلامية لها، وكان يرجع الفضل في ذلك إلى جهود التجار والدعاة والصوفية العرب الذين توافدوا على البنغال، ويعزي المؤرخون بداية اتصالهم بالبنغال إلى القرون الأولي للهجرة، وذلك استناداً إلى العديد من الشواهد الأثرية واللغوية.[٣]

وقد تزايد إقبال التجار العرب على موانئ البنغال منذ بداية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي.[٤] ومما يؤكد الاستقرار المبكر للعرب في الساحل الجنوبي الشرقي للبنغال وجود إشارات في سجل "تاريخ أركاني" إلى استقرار بعض العرب في عدد من

---

[١] محمد مهر علي: انتشار الإسلام في بنجلاديش وغربي البنغال، ص ٢٦٣.

[٢] محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال، ص٢٩.

[٣] Abdul, Karim. Social History of the Muslim in Bengal,p.١٧.

[٤] Basa, Kishor K.. Indian Writings on Early History and Archaeology of Southeast Asia: A Historiographical Analysis, Journal of the Royal Asiatic Society, Third Series, Vol. ٨, No. ٣ (Nov., ١٩٩٨), p.٤٠١.

القري بساحل "أركان" بعد تحطم سفينتهم، وذلك تحت رعاية ملكها "ماباتوينج" (١٣٦هـ :١٩٤هـ / ٧٨٠م: ٨١٠م)، وكانت ولاية "أركان" تضم في ذلك الوقت ساحل "شيتاجونج" والأجزاء المجاورة من تل شيتاجونج، وبذلك يكون من المرجح استقرار هؤلاء العرب في مكان ما من المنطقة الساحلية "لشيتاجونج".

ويرجح ذلك الاستقرار عدد من الدلائل الأخري التي تشير لتطور هذا الاستقرار العربي إلى قيام مستعمرة هامة للمستوطنين من المسلمين، إذ ذكر سجل آخر من سجلات "تاريخ آركاني" أن الملك "تسو.لا .تانج .تسان داريا"(٣٤٠هـ : ٣٤٦هـ / ٩٥١م : ٩٥٧م) هزم شخصاً يدعي "ثورا تان"، وأقام نصباً تذكارياً في "تست .تا- جونج" أي "شيتاجونج" التي كان "ثو .را .تان" حاكماً عليها، واسم "ثو .را .تان" باللغة الأركانية هو تحريف للقب العربي "سلطان"، وبذلك يرجح تكوين المسلمين إمارة مستقلة تشمل الحزام الساحلي "لشيتاجونج" ومقاطعة "نوخلي"، وهذه الإمارة لم تأت فجأةً، وإنما جاءت من زيادة تدريجية لاستقرار المسلمين علي ساحل "شيتاجونج" وما حوله علي مر أزمنة طويلة.

ومما يؤكد الاستقرار المبكر للعرب في شاطئ "شيتاجونج" قبل الفتح الإسلامي لهذه المنطقة بعدة قرون دخول العديد من الكلمات والجمل والتعبيرات العربية في اللهجة المحلية لمقاطعة "شيتاجونج" حتي أن المفردات العربية تمثل ما يقرب من نصف مفردات اللهجة الشيتاجونجية الحديثة، ويرجح المؤرخون أن اسم "شيتاجونج" نفسه يرجع إلي التعبير العربي "شاطئ الجانجا"، وأن التجار العرب

الذين ترددوا على الميناء كانوا هم البادئين بتسميته بهذا التعبير الذي أخذ صيغة محلية في النطق حتي أصبح يسمي "شيتاجونج"، هذا بالإضافة إلي شيوع كثير من العادات العربية، كما يقارب مظهر مسلمي "شيتاجونج" ونواحيها مظهر العرب وسلوكهم، ونخلص من ذلك إلى استقرار العرب بأعداد كبيرة في هذه المنطقة واختلاطهم بالسكان، مما أحدث تغيرات سكانية واجتماعية ولغوية في المنطقة، ولذلك نجد تأثير الحضارة العربية الإسلامية أقوي في هذه المنطقة من شرق البنغال عن غرب وشمال غرب البنغال التي سبقتها في الفتح الإسلامي.[١]

وقد عد العرب في البنغال من أهم عناصر المسلمين بها، ويؤكد ذلك ملاحظات الجغرافيين والرحالة، فقد ذكرهم "باروس" ضمن العناصر السكانية في البنغال، وكان منهم كبار التجار الذين امتلكوا السفن الكبيرة يبحرون بها أعالي البحار، كما ذكر اشتغالهم بتجارة الرقيق، وقد جنوا مكاسب كبيرة من هذه التجارة، ولذلك عاشوا في رفاهية عالية ظهرت في بذخهم في ملبسهم ومأكلهم ومنازلهم الفخمة التي أقاموا بها أحواض ضخمة يستحمون بها، وقد ضمت قصورهم العديد من الزوجات والجواري اللاتي امتلكن ثروة من الذهب والجواهر والملابس الحريرية.[٢]

وقد توافد إلى البنغال عدد من الأشراف من عرب شبه الجزيرة العربية واستقروا بها، فتتحدث بعض المصادر الأدبية عن قدوم بطل عربي قرشي هو "شاه إسماعيل غازي"، وكان مصاحباً له مائة وعشرون من رفاقه، وقد أقاموا مستوطنات في منطقتي "مدرات" (هوجلي) و"كانتادوار" (رانجبور)، وقد عثر المندوب المدني

---

[١] Abdu Rahim. Social and Cultural History of Bengal,vol.١ ,pp.٤٣-٤٦.

Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslims of Bengal. Vol. ١,p.٣٩.

[٢] Barbosa, Duarte. The Book of Duarte Barbosa, pp.١٣٩ - ١٤٢,١٤٨.

البريطاني "د. هـ . رامانت" في "كانتادوار" على وثيقة تاريخية تؤكد هذا الأمر في قبر أحد خدام "شاه إسماعيل غازي" الذين أتوا معه من شبه الجزيرة العربية.[١]

وقد تولي العرب حكم البنغال ما يقرب من نصف قرن، ومؤسس سلطنة العرب بالبنغال هو السلطان "علاء الدين حسين شاه"، وهو ابن "سيد أشرف الحسيني" الذي كان شريف "مكة"، ولذلك كانوا يعتزون بأصلهم العربي الحسيني الشريف، وقد نتج عن ذلك اهتمامهم بالثقافة العربية والعمل على نشر الإسلام، وقد حكم هذه السلطنة أربعة سلاطين فقط هم "علاء الدين حسين شاه" مؤسس السلطنة وابنه "نصير الدين نصرت شاه" وابنه "علاء الدين فيروز شاه" و"غياث الدين محمود شاه"، ولم تستمر السلطنة أكثر من ستة وأربعين عاماً.[٢] وبذلك لعب السادات دوراً سياسياً واجتماعياً وثقافياً هاماً في البنغال.

وقد توافد إلى البنغال علماء أجلاء من السادات لعبوا دوراً كبيراً في الحياة السياسية والثقافية بها، من أهمهم الشيخ "مخدوم شاه دولة بن معز بن جابال" الذي رحل مع والده وأتباعه وأسرته من اليمن إلى البنغال، واستقروا في "بتاجيا" بمقاطعة "بابنا"، وبنوا مسجداً بها، وعملوا على نشر الإسلام في المنطقة، وقد أثار هذا الأمر اعتراض الملك الهندوسي الذي قام بهجوم على هؤلاء المستوطنين انتهي باستشهاد الولي وأتباعه، وقد أخذت رأسه إلى "بيهار" حيث سلمها الملك الهندي للمسلمين الذين قاموا بدفنها وبناء مسجد عليها، أما جسده فقد دفنه أتباعه في

---

[١] محمد مهر علي: انتشار الإسلام في بنجلاديش وغربي البنغال، ص٢٦١، ٢٦٢.

[٢] Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslim of Bengal.vol. ١.p.١٨٣.

"شاهزادبور". الواقعة بالقرب من "بتاجيا". وأقاموا عليه مسجد[١]، ويتضح من ذلك نشاط دعاة السادات الدعوي المبكر بالبنغال الذى سبق الفتح الإسلامي لها.

وقد استمر نشاط السادات الدعوي في البنغال طوال عصر السلاطين، ومن أهم دعاتهم "آذان فقير"، وهو أحد الصوفية السادات الذي قدم من "بغداد" إلى آسام حيث استقر بها، وعمل على نشر الإسلام بين المواطنين.[٢] ومن الجدير بالذكر أن هجرة السادات من الجزيرة العربية وشمال شبة الجزيرة الهندية إلى البنغال تضاءلت في نهاية عصر سلاطين البنغال.[٣]

(٤) الفرس

كان للفرس اتصال تجاري كبير بالهند منذ وقت مبكر.[٤] وقد ساعد انتشار الإسلام في الجانب الشرقى للخليج الفارسى كثيراً على تكوين شعب واحد من الفرس والعرب سكان السواحل فى هذه المنطقة بعد اختلاطهم وامتزاجهم، فاشتركوا في الإسلام واللغة العربية وفي أعمال الملاحة والتجارة مع الهند، مما جعل من العسير التمييز بين الفريقين، إلا إنه مع دراسة أسماء النواخذة الواردة في كتاب

---

[١] Abdu Rahim. Social and Cultural History of Bengal, vol.١ ,p.٨٣.

[٢] إشفاق: شمال شرق الهند: منطقة ثقافية متنوعة موغلة في القدم، ص٢٥٧.

[٣] Dasgupta, Atis. Islam in Bengal: Formative Period . Social Scientist, Vol. ٣٢, No. ٣/٤ (Mar. - Apr., ٢٠٠٤), p.٣٢.

[٤] محمود عرفة: النظم السياسية والاجتماعية في الهند في عهد بنى تغلق، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية١٨، الرسالة ١٢٨، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ص٥٨.

"عجائب الهند" لبزرك بن شهريار نجد غلبة العنصر الفارسى.[١] وقد لاحظ الرحالة ومنهم "باروس" توافد كثير من التجار الفرس إلى موانئ البنغال، وكان للبنغال نشاط تجاري كبير مع إيران إبان حكم السلاطين.[٢]

وقد توافد كثير من العلماء الفرس إلى البنغال، وسعوا إلى نشر الإسلام وعلومه بها، ومن هؤلاء العلماء الذين رفعوا شعلة العلم في البنغال الشيخ "تاج الدين البلخي" الذي كان له باع كبير في اللغة العربية ولاسيما النحو، وقد وفد إلى "لكهنوتي" واستقر بها، واشتغل بالتدريس، وأخذ عنه كثير من العلماء، وخرج العديد من العلماء من أسرته في "لكهنوتي" أشهرهم "منجهن بن عبد الله بن خير الدين اللكهنوتي".[٣]

ومن أوائل العلماء الفرس الذين استوطنوا في البنغال الشيخ "جلال الدين التبريزي"، ولشهرته الطائلة سعي "ابن بطوطة" للقائه في جبال "كامر"[٤] التي تبعد عن "سدكَاون" مسيرة شهر، وهي جبال متسعة تتصل بالصين والتبت، وكان للشيخ "جلال الدين" دور كبير في نشر الإسلام في هذه المنطقة، وأقام بينهم يعلمهم

---

[١] محمد يوسف: علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجرى، كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، مايو ١٩٥٣م، مج١٥،ج١، ص٢٥.

[٢] Barbosa, Duarte. The Book of Duarte Barbosa, p. ١٣٩.

[٣] عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، ج٣، ط١، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ١٣٧١هـ/١٩٥١م، ص٢٤١.

[٤] جبال كَامْرُ تقع في كامر أو كَمْرُوْب، وهي مديرية في ولاية آسام، يحدها شمالاً بهوتان وشرقا درانكَ ولوكَانكَ وجنوباً جبال الخاصي وغربا كَوالبارا ، وقاعدتها كَوهاتي، وأهم أنهارها براهمابوترا. (معين الدين الندوي: معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر، ص٤٢.)

تعاليم الإسلام في زاوية بجوار الغار المقيم به، وقد روي عنه "ابن بطوطة" كثير من الكرامات.[١]

والشيخ العالم الفقيه "نظام الدين الفرغاني" من العلماء البارزين في الفقه والأصول، دخل البنغال أثناء فتح "محمد بن بختيار خلجي" لها الذي قربه له وأكرمه وأكثر له العطاء، وصحبه "نظام الدين" في فتوحاته في البنغال، واستقر بالبنغال حتي وفاته بها، وكان في صحبته أخوه "صمصام الدين".[٢]

(٥) الأفغان

شكل الأفغان عنصراً هاماً من عناصر المسلمين فى الهند، ويرجع قدومهم إلى بداية العصر الأموى، فيذكر "فرشته" أنه في عهد "يزيد بن معاوية" عندما عُزل "خالد بن عبد الله" ـ الذى يرجع البعض نسبه إلى "خالد بن الوليد" ـ من حكم كابل اتجه إلى جبال سليمان التى تقع بين "ملتان" و"بيشاور"، واتخذها مقراً له، وزوج ابنة زوجته لأفغانى ذو سمعة حسنة تحول للإسلام، وقد ولدت هذه السيدة أبناء سطع نجم اثنين منهما هما "سورى" و"لودى"، وقد انبثقت غالبية القبائل الأفغانية في الهند منهما، وبعد الفتح الإسلامي للسند توطدت علاقتهم بالمسلمين، وقد عمل المسلمون الأفغان في الزراعة وتربية الخيل ورعى الأغنام[٣]، واختلطوا بالهنود وتزوجوا منهم، فظهر خليط من الدم الهندى والأفغانى في سهول "بيشاور"

---

[١] ابن بطوطة: الرحلة، ج٢، ص١٥٠.

[٢] عبد الحي الحسني: المرجع نفسه، ج١، ص١٣٠.

[٣] Eliot,Dowson; The History of India as told by its own Historians.Part ٦. .London.١٨٦٧,P.٥٦٦.

و"الديره جاط".[١] وبذلك ذاب الأفغان في الهند، و"تهندت" سلالتهم بسرعة، فصاروا ينظرون للهند نظرتهم إلى وطنهم، ولا عجب فلم يكن الأفغان مجموعة عرقية غريبة عن الهند، فقد كانوا شعباً آرياً وثيق النسب بشعب الهند، وكانت بلادهم طوال فترة مديدة من التاريخ جزءاً من الهند، ولغتهم "الباتشو" تنحدر من اللغة السنسكريتية.[٢]

وقد شكل الأفغان جزءاً من عناصر الجيشين الغزنوى والهندي.[٣] وقد حارب بذلك الأفغان مع الجانبين في الحرب الكبرى التي دارت بين المسلمين والهندوس، وظل الأفغان جنساً شرساً من لصوص الجبال باستثناء الفترة التي عملوا فيها جنوداً مرتزقة، إلى أن تولى زمام الحكم واحد منهم وهو السلطان "بهلول لودى"، الذى ارتقى عرش "دهلى" سنة (٨٥٥هـ/١٤٥٠م)، وقد قضى "بابر" على حكم هذه الأسرة عام(٩٣٢هـ/١٥٢٥م).[٤]

وقد استعان السلطان "حسين شاه" بالأفغان عوضاً عن الأحباش بعد طرده لهم، وجعل منهم قادة جيشه، وأرسل منهم ولاة للأقاليم.[٥] وبعد نهاية حكم الأفغان اللوديين لسلطنة "دهلي" فر كثير منهم إلى البنغال حيث قام السلطان "نصير شاه"

---

[١] عبد الحميد يونس:الأفغان، دائرة المعارف الإسلامية مج٤ ، ص٣ :٥.

[٢] نهرو: اكتشاف الهند، ص١٤٧، ١٤٩.

[٣] فرشته: تاريخ فرشته، ص٥٨.

[٤] عبد الحميد يونس: الأفغان، دائرة المعارف الإسلامية، مج٤، ص٤، ٦.

[٥] Ferishta. Tarikh-i- Firistah.vol. ٤, pp.٣٤٩- ٣٥٠.

Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, p.١٣٠,١٣١.

Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslim of Bengal.vol. ١,p.١٩٠,١٩١.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India, Vol. III,p.٢٧١.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultante.p.١٤٣,١٤٤.

باستقبال هؤلاء الأفغان الفارين وعلى رأسهم "محمود شاه" أخو السلطان "إبراهيم شاه بن سكندر شاه"، وقد أحسن السلطان "نصير شاه" استقباله، وأقطع أمراءه العديد من القري، ورفعهم لمكانة عالية، وعاشوا في راحة وأمان بالبنغال.[١]

ولكن بنجاح السلطان "شيرشاه السوري" في اعتلاء عرش "دهلي" بعد هزيمته للسلطان "همايون شاه" خضعت البنغال لحكمه، وولي عليها أمراءه الأفغان.[٢] وما لبث الأفغان أن أسسوا سلطنة بالبنغال، فقد قام "تاج خان قراني" بالاستقلال بالبنغال سنة(٩٧١هـ / ١٥٦٤م) وأسس أسرة "قراني" الأفغانية بها.[٣] واستمر حكمهم للبنغال حتي استيلاء المغول عليها سنة ٩٨٢هـ / أكتوبر ١٥٧٤م.[٤] وبذلك لم يدم حكم هذه الأسرة أكثر من احدي عشرة سنة.

---

[١] الهروي: طبقات أكبري، ج٣، ص١٧٠.

Ferishta. OP.Cit..vol. ٤, p.٣٥١.

Salim, Gulam Husain. OP.Cit., p.١٣٥.

Ali, Muhammad Mohar. OP.Cit..vol. ١. p.٢١٧.

Haig, Wolseley. OP.Cit., Vol. III,p.٢٧٢.

[٢] Abu Al- Fazil. The Akbar Nama.Vol.١.p. ٣٤٩.

Jouher. The Tezkereh AL Vakiat,p.٣٧.

Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, p.١٤٥.

[٣] Salim, Gulam Husain. OP.Cit.,pp.١٤٩ - ١٥٠.

Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslim of Bengal.vol. ١. pp.٢٣٩ – ٢٤٣.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultante.p.١٩٩,٢٠٠.

[٤] الهروي: طبقات أكبري، ج٢، ص١١١: ١٢٠.

Abu Al- Fazil. OP.Cit..Vol.٣.pp.١٣٥- ١٤٨.

Ferishta. Tarikh-i- Firistah.vol. ٤, p.٣٥٥,٣٥٦.

Salim, Gulam Husain. OP.Cit., p. ١٥٦, ١٥٧.

Ali, Muhammad Mohar. OP.Cit.. pp.٢٥١ - ٢٥٣.

Hussain, Syed Ejaz. OP.Cit..p.٢٠٩,٢١٠.

وكان للقادة الأفغان دور فعال في نشر الإسلام في البنغال، ومن أشهرهم القائد "توربـاك" الـذي خـاض حربـاً ضروسـاً ضـد ملـك آسـام سـنة(٩٣٩هـ / ١٥٣٢م) انتهـت بهزيمتـه وأسر جيشه، وبعـد فـترة مـن السجن أطلـق سراحهـم، فاسـتوطنوا وادي براهمـابوترا، وتزوجـوا مـن النسـاء المحليـات، وسـلالتهم مازالـت موجـودة في آسام وتسمي "ماريا".[١]

وقـد كـون الأفغـان جزءاً مـن المجتمـع الإسـلامي الوافـد إلى البنغـال قبـل سـيطرة الأفغـان عليهـا، ويستدل عـلى ذلـك بـما ذكـره "فيبراداسـا" في كتابـه "مناسـا فيجايـا" ـ الـذي كتبـه سـنة(٩٠١هـ / ١٤٩٥م) ـ عـن عنـاصر المجتمـع الإسـلامي في مدينـة "سدكَاون"، فقد ذكر الأفغان كجزء من هذا المجتمع، وأشار إليهم باسم "الباثان"، ويدل ذلك على وجودهم بأعداد كبيرة، لفتت نظر "فيبراداسا" ليضعهم على رأس قائمته.[٢]

لقد أمدتنا كتابات الشاعر البنغالي "ميكندرام" بصورة عن بداية استقرار الأفغان والمغول في البنغال، وذلك من خلال وصفه لاستقرارهم في مدينة "كالينجا"، فقد شغلت جميع الطبقات الهندية المدينة باستثناء بركة أحد بيرات الصوفية، وبالإتفاق معه استقر المسلمون عند هذه البركة الواقعة في الطرف الغربي من المدينة، وقام البير بمنحهم أراضي ليشيدوا عليها منازلهم، وقد تكونـت عناصر المسلمين المهـاجرين أساساً من المغول والأفغان الباثان، وأقاموا في الطرف الغربي من مستقرهم "حسين

---

[١] إشفاق: شمال شرق الهند: منطقة ثقافية متنوعة موغلة في القدم، ص٢٥٦، ٢٥٧.

[٢] Abdul Karim. Social History of The Muslim in Bengal,p.١٥٤.

باتي" ـ مقر الشيعة للاحتفال بمقتل الحسين في شهر محرم ـ وقد سكنت الطبقات الأربع للأفغان الباثان في هذه المدينة.[١]

(٦) المغول

تعرضت البنغال لهجمات عديدة للمغول منذ العصور القديمة لها[٢]، كما تعرضت لهجمات من المغول أثناء خضوعها لسلطنة "دهلي"، فقد قامت قوة من المغول مكونة من ثلاثين ألف جندي بالهجوم على البنغال سنة(٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)، سالكين نفس الطريق الذي كان "محمد بن بختيار خلجي" قد سلكه أثناء حملته على التبت، فأرسل الوالي "طوغان خان" استغاثة لسلطان "دهلي" "مسعود شاه" فأمده بجيش جرار استطاع هزيمة المغول.[٣] ويستدل من ذلك على تعرض البنغال لمحاولات من المغول لغزوها من جهة الشمال، وفشلهم في هذا الأمر لا ينفي إمكانية دخولهم إليها كمهاجرين وتجار.

---

[١] Gupta, Das J. N. . Bengal in the Sixteenth Century, A. D..The University of Calcutta. ١٩١٤,p.٩٠, ٩١.

[٢] Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, p.٥٥.

[٣] منهاج سراج: طبقات ناصري، ج١، ص١٩٩، ٢٠٠. الهروي: طبقات أكبري، ج١، ص٧٧، ٧٨.

Abdul – Qadir Ibn-I-Muluk Shah. Muntakhabu-T-Tawarikh,p.١٢٥.

Salim, Ghulam Husain. OP.Cit., p.٧٥,٧٦.

Sastri, Nilakanta. Advanced History of India. New Delhi,p.٣٤٥.

وقد استعان السلطان "حسين شاه" بالمغول في جيشه، وجعل منهم ولاة للأقاليم، وأحلهم محل الأحباش الذين طردهم من البلاد.[١] وقد كون المغول جزء من المجتمع الإسلامي الوافد إلى البنغال، وذلك من قبل ضم البنغال للدولة المغولية، فقد أشار "فيبراداسا" في كتابه "مناسا فيجايا" سنة (٩٠١هـ / ١٤٩٥م) إلى المغول كجزء من مجتمع مدينة "سدكَاون"، مما يدل على وجودهم بأعداد كبيرة لفتت نظر المؤرخ الهندي.[٢]

(٧) الأفارقة

كان السلطان "باربكشاه" هو أول من أدخل أعداداً كبيرة من العبيد الأفارقة السود إلى البنغال، وذلك ليزيد من أعداد جيشه، فكان لديه ما لا يقل عن ثمانية آلاف منهم، وقد رفع هؤلاء العبيد الأفارقة إلى مكانة عالية، وقد مثلوا خطراً شديداً على سلطنة البنغال في الفترة اللاحقة له.[٣]

فقد شهدت السنوات الأخيرة لحكم السلطان "فتح شاه" تصاعد نفوذ العبيد الأفارقة الذين شغلوا مناصب عالية في بلاط سلطان البنغال، كما شكلوا جزء كبير من حرس القصر السلطاني، وإزاء تصاعد نفوذهم حاول السلطان "فتح شاه" الحد من قوتهم، وقد أدى هذا الأمر إلى تجمعهم ضده تحت قيادة "شاهزاده" قائد حرس

---

[١] Ferishta. Tarikh-i- Firistah.vol. ٤, pp.٣٤٩- ٣٥٠.

Salim, Gulam Husain. OP.Cit., P.١٣٠,١٣١.

[٢] Abdul Karim. Social History of The Muslim in Bengal,p.١٥٤.

[٣] Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslim of Bengal.vol. ١. p.١٧١,١٧٢.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India, Vol. III,p.٢٦٨.

القصر الذي قام بقتل السلطان "فتح شاه"[١]، واعتلى العرش من بعده، ليكون أول سلاطين الأحباش الذين تولوا حكم البنغال، وقد عمل على تدعيم مركزه بجمع العبيد الأحباش من كل مكان.[٢]

وقد تصاعد نفوذ العبيد الأفارقة في بلاط البنغال في ذلك الوقت، ومن أشهر من تولى الوزارة منهم "مظفر حبشي" المسئول عن إدارة الشئون المالية والإدارية للمملكة فترة حكم السلطان "محمود شاه بن فيروز شاه"، وفرض سيطرته على كل شئون المملكة.[٣] وقد أنهي "سيد حسين" حكمهم للبنغال بقتله للسلطان "مظفر حبشي" آخر سلاطينهم، وجلس على عرش السلطنة[٤]، وقام بطرد الأحباش من المملكة، فاستقر الأمن في البلاد.[٥]

---

[١] الهروي: طبقات أكبري، ج٣، ص١٦٨.

Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, p.١٢١.

Ali, Muhammad Mohar. OP.Cit..vol. ١.p.١٧٧.

Haig, Wolseley. OP.Cit., Vol. III,p.٢٦٨.

[٢] Ferishta. Tarikh-i- Firistah.vol. ٤, pp.٣٤١- ٣٤٣.

Salim, Gulam Husain. OP.Cit., pp.١٢١ - ١٢٤.

Ali, Muhammad Mohar. OP.Cit.. p..١٧٧,١٧٨.

Haig, Wolseley. OP.Cit., Vol. III,p.٢٦٨,٢٦٩.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultante.P.١٢٧.

[٣] Ferishta. Tarikh-i- Firistah .vol. ٤, p.٣٤٥,٣٤٦.

Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin OP.Cit., P.١٢٦.

Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslim of Bengal. P.١٧٩,١٨٠.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India, Vol. III,p.٢٧٠.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultante.P.١٢٩.

[٤] الهروي: طبقات أكبري، ج٣، ص١٦٩.

[٥] Ferishta. OP.Cit..vol. ٤, pp.٣٤٩- ٣٥٠.

Salim, Gulam Husain. OP.Cit., p.١٣٠,١٣١.

(ب) البنغاليون المسلمون

شكل المسلمون المحليون جزءاً متزايداً باضطراد في المجتمع البنغالي، وقسماً كبيراً منهم جاء نتيجة التزاوج بين المسلمين المهاجرين والسيدات الهنديات، وأيضا لزيادة اعتناق سكانها للإسلام، وهناك العديد من الشواهد على تزاوج المسلمين الفاتحين وخاصة من الطبقة الحاكمة والأسر الغنية بسيدات من البراهمة والكاياثا، ولم تتجه الطبقة العليا المسلمة للتزوج من طبقة العامة التي لم يكن هناك اتصال كبير معهم، وذلك على العكس من طبقة البراهمة والكاياثا المتعلمة والمثقفة التي حظيت باتصال مع الطبقة الحاكمة المسلمة من خلال العمل السياسي والتواصل الاجتماعي بجيرانهم المسلمين، وقد شكل هذا التزاوج أرضية التواصل الاجتماعي بين المسلمين والطبقة العليا من الهندوس.

ومن أشهر الأمثلة على هذا التزاوج زواج السلطان "شمس الدين إلياس شاه" من الأرملة البرهمية الجميلة "بهولماتي بيكَم"، وأنجب منها العديد من الأبناء، وقد تزوج "ماهيساوار" الجد الأكبر للشاعر "محمد خان" من فتاة برهمية، وقد نتج عن هذا التزاوج أسرة قدمت العديد من الولاة والقادة الذين لعبوا دوراً كبيراً في عهد السلطانين "إلياس شاه" و"حسين شاه"، وأيضاً زواج "مسندي علي عيسي خان" من "سوناماي" الأخت الجميلة للبراهمي "قدر راي" زاميندار "سريبور"، وأنجب منها ولدين هما "آدم خان" و"بيرم ديوان" اللذان تزوجا ابنتي خالهما "قدر راي"، وغير ذلك من الأمثلة العديدة على زواج المسلمين من الطبقة العليا الهندية.[١]

---

[١] Abdu Rahim. Social and Cultural History of Bengal, vol.١ ,p.٦٤,٦٥.

وقد دخل كثير من المنبوذين في الإسلام، فقد تحولت إحدى طوائف المنبوذين جملة للإسلام على أثر الفتح الإسلامى للبنغال، وأصبحوا شديدى الحماسة والتعصب للدين الإسلامي[١]، وسبب ذلك يرجع إلى معاناتهم تحت الحكم الهندي، ففى القرن السادس الهجري / الثانى عشر الميلادى غزت البنغال الشرقية أسرة هندوكية متعصبة، وطبقت نظام الطبقات الهندوكى بصرامة وشدة وتعصب، ولكن بعد الفتح الإسلامي للبنغال، دخلت في الإسلام أعداد كبيرة من المنبوذين الذين عانوا أشد المعاناة سابقاً، كما جذبت دعوة الدعاة والتجار المسلمين المنبوذين المغلوبين على أمرهم، لما رأوه فى الدين الجديد من مساواة وتسامح لم يجدوه في الديانة الهندوكية، فاقبلوا على اعتناقه.[٢] فكان الإسلام فرصة للمنبوذين ليتحرروا من عبوديتهم، فبإسلامهم يرتقون إلى مرتبة غيرهم من المسلمين على قدم المساواة، ولا يستطيع أحد أن يميز بينهم وبين غيرهم.[٣]

وقد تأثر الهنود الخاضعين للحكم الإسلامي بالمساواة والحرية التي أدخلها الإسلام إلى الهند، فلا تقسيم طبقى ولا حرمان من التعليم ولا تقسيم للحرف والصناعات، وكان ذلك صدمة عنيفة للعقل الهندى أفادت الهند كثيراً فى التلطيف من شدة النظام الطبقى، وخاصة فى المناطق الخاضعة للحكم الإسلامى، وكان ذلك باعثاً قوياً لظهور دعاة للإصلاح الاجتماعى، دعت إلى نبذ النظام الطبقى وتحرير المنبوذين، وقد ذكر الأستاذ "اين. سى. مهتا" أن فطرية التعاليم الإسلامية والمساواة أثرتا في الهند تأثيراً كبيراً، وكان للمساواة مظاهر كثيرة كصلاة الجماعة وصيام

---

[١] Xavier de Planhol. The World of Islam.New York.Second Printing.١٩٦٧,p.١١٧.

[٢] جمال الدين الرمادى: الإسلام فى المشارق والمغارب، مطابع الشعب، ١٩٦٠، ص٤٢.

[٣] البعثة الأزهرية إلى الهند: دراسة لأحوال الطوائف والهيئات الإسلامية بالهند، ص٧٧.

رمضان والزكاة والحج وغيرها من شرائع الإسلام، وقد وجد الهندوس الذين يئنون تحت وطأة الطبقية الجائرة ملاذاً لهم في الإسلام.[١]

وقد انتشر الإسلام بصورة كبيرة في شرق البنغال بصفة خاصة، فتحول غالبية المجتمع إلى الإسلام حتي الطبقة العليا من البراهمة، ويرجع السبب في ذلك إلى احتفاظ قسم كبير من شرق البنغال بعقائده ومذاهبه بعيداً عن سيطرة البراهمة، وذلك نظراً لصعوبة الاتصال بينه وبين غرب البنغال، وخاصة المنطقة الواقعة شرق نهر "بدما"، والتي تشكل الجزء الأكبر من شرق البنغال، وقد توافقت التباينات الإقليمية بين شرق وغرب البنغال مع الاختلافات الدينية بينهما، فشرق البنغال أكثر صلة بآسام، وقد انتشرت به الديانة البوذية.[٢]

وقد دخل كثير من البوذيين البنغاليين في الإسلام الذي وجدوا فيه ملاذاً من سيطرة البراهمة الطاغية على المجتمع، فرحبوا بالمسلمين الفاتحين، وساعدوا "محمد بن بختيار خلجي" في فتحه للبنغال، وكان غالبية هؤلاء البوذيين من طبقة الكشتارية أو الكاياثا التي لقيت البوذية انتشاراً كبيراً بينها، وذلك لأن البوذية وقفت في وجه سيطرة البراهمة، ويعنى دخول عدد كبير من البوذيين في الإسلام إسلام عدد كبير من طبقة الكشتارية والمنحدرين منها، وهي الطبقة الثانية في المجتمع الهندي، مما يعني دخول عدد كبير من أفراد الطبقة العليا في الإسلام.

فليس من الصواب القول أن غالبية البنغاليين المسلمين كانوا من الطبقة الدنيا فقد انجذب للإسلام أيضاً أعداد كبيرة من الطبقة العليا المتعلمة من الهندوس،

---

[١] محمد أكرم الندوى: التبادل الثقافى بين الهند والعرب، ثقافة الهند، ١٩٩٠، مج٤١، ع١، ص١٦٧.

[٢] Mukherjee, Ramkrishna, Social Background of Bangla Desh,p.٢٦٥.

فالبراهمة والكاياثا المتعلمون والمستنيرون احتلوا مكاناً متميزاً في بلاط الحكام المسلمين في البنغال، وشغلوا المناصب العليا في الدولة، وبذلك حظوا باتصال مباشر مع الحكام المسلمين، ولكونهم الطبقة المتعلمة في المجتمع الهندي فكانوا الأقدر على فهم تعاليم الإسلام العظيمة، والدخول في حظيرة الإسلام.[١]

والأمثلة على البراهمة الذين أسلموا كثيرة، ورد بعضها في الكتابات الهندية، منها إسلام البراهمي "بهوجار" الذي قدم من "كمروب" إلى "لكهنوتي" في السنوات الأولى للحكم الإسلامي عصر "علي مردان الخلجي"، ودخل في مناقشة فلسفية مع القاضي "ركن الدين السمرقندي" انتهت باعتناقه الإسلام على يديه، واعتناق "بهوجار" الإسلام على هذا النحو هام للغاية، فهو يدل على أنه خلال فترة قصيرة من وصول المسلمين إلى البنغال، أثار الإسلام اهتمام زعماء الهندوسية وإعجابهم حتي في أماكن قاصية مثل "كمروب" المركز العريق للعلوم الهندوسية في الشرق التي لم تكن آنذاك قد خضعت للحكم الإسلامي، كما يدل هذا الأمر على سيادة روح التسامح والحرية التامة في عقد مناظرات دينية في العاصمة الإسلامية "لكهنوتي"، وما أتاحه الحكام المسلمون من حرية دينية للهندوس، ويستدل أيضاً من هذا الأمر على رغبة الهندوس وشغفهم في التواصل لمعرفة الدين الجديد، وقد انجذب بهذه الطريقة كثير من أفراد الطبقة العليا المتعلمة إلى الإسلام.[٢]

وتدحض هذه الأدلة رأي "نهرو" أن غالبية من اعتنق الإسلام فى البنغال من أبناء الطبقات الدنيا، بينما دخلت أعداد قليلة من الطبقة العليا في الدين الجديد،

---

[١] Abdu Rahim. Social and Cultural History of Bengal, vol.١ ,p.٦٥,٦٦.

[٢] محمد مهر على: انتشار الإسلام في بنجلاديش وغربي البنغال، ص٢٧٣.

وكان ذلك يتم في معظم الأحيان لأسباب سياسية أو دينية.[١] فقد ثبت دخول أعداد كبيرة من الطبقة العليا البنغالية في الإسلام.

ومن المؤكد أن الفضول الفكري الذي أثاره الإسلام بين المتعلمين من الهندوس كان له تأثيره المستمر، وقد لعبت المناظرات بين علماء المسلمين و"الباندیت" البراهمة ـ وهم أعلى طائفة للرؤساء الدينيين الهندوس ـ دوراً كبيراً في تحول كثير من الهندوس للإسلام، فكانت لهم مساجلات دينية مع الشيخ "جلال الدين التبريزي"، وهو أحد الدعاة الذين استوطنوا البنغال بعد عصر "علي مردان" مباشرة، وعلى أثر هزيمة "الباندیت" أمامه اعتنقوا الإسلام جميعاً.[٢]

وقد دخل في الإسلام أعداد لا يستهان بها من الموظفين الهندوس الذين شغلوا وظائف مختلفة في بلاط سلاطين البنغال، فحظوا باحتكاك مباشر بالمسلمين، وتعرفوا على تعاليم الإسلام، ومن أشهر الأمثلة على ذلك إسلام "كالا بهار" قائد جيش "سليمان قراني" و"داود قراني" الذي كان من الكاياثا قبل دخوله في الإسلام، وكان له دور كبير في فتح أوريسيا حيث تولي قيادة الحملة الموجهة لفتحها، واستشهد في معركة "راج محل" سنة(٩٨٤هـ / ١٥٧٦م). و"كاليداس غازي" الذي كان من الراجبوت الكشتارية، دخل في خدمة السلطان "حسين شاه"، وبعد اعتناقه الإسلام غير اسمه إلى "سليمان"، وتزوج أميرة من أسرة السلطان "حسين شاه"، وأنجب منها ولدين هما "إسماعيل" و"عيسي" اللذان لعبا دوراً كبيراً في الحياة السياسية.[٣]

---

[١] نهرو: اكتشاف الهند، ص١٦٠.

[٢] محمد مهر علي: انتشار الإسلام في بنجلاديش وغربي البنغال، ص٢٧٣.

[٣] Abdu Rahim. Social and Cultural History of Bengal. vol.١ ,p.٦٨.

ولا ننسى إسلام "جادو بن راجا كانس" على يد الشيخ "قطب علم" الذي سماه السلطان "جلال الدين محمد"، واعتلى عرش البنغال سنة (٨١٨هـ / ١٤١٥م)، وقد ترتب على هذا الأمر انتشار الإسلام في البنغال، وقد نجح في تحويل كثير من الهندوس للإسلام، وعمل على الحد من سلطة البراهمة[١]، وقد أثار هذا الأمر غلياناً شديداً ليس فقط في دائرة أسرة "كانس" ولكن في المجتمع الهندوسي بصفة عامة، حتي أن أحد إخوته أعلن الحرب عليه، وظل مناوئاً له فترة.

وكان للدعاة والصوفية دور كبير في إدخال كثير من البنغاليين في الإسلام، فقد نجح "شاه سلطان رومي" في إقناع ملك ينتمي لقبيلة "كوش" باعتناق الإسلام، وكان هذا الشيخ قد استقر في "مدانبور" بمقاطعة "ميمنسنغ" في بداية الحكم الإسلامي للبنغال، كما أسلم زعيم محلي لجزيرة "سنديب" الواقعة بمقاطعة "شيتاجونج" على يد الداعية "شاه سلطان ماهيساورار"، وقد مارس دعوته بشكل واسع في البنغال، وبعد طوافة للدعوة استقر في النهاية في "ماهستهان" في مقاطعة "بوجرا".[٢]

ولقد توافدت إلى البنغال أعداد هائلة من الصوفية من مختلف البلدان، واستقروا بها وجعلوها موطنهم وعملوا على نشر الإسلام، ولم يدخل هؤلاء الصوفية البنغال فرادي، وإنما اصطحبوا أتباعهم ومريديهم، والمثال على ذلك استقرار سبعون من مريدي حضرت شيخ "شهاب الدين السهروردي" في "ديفجاون"، كما دفن العديد من الصوفية السهروردية في "مهيسون" الذين جاءوا صحبة الشيخ "جلال الدين".[٣]

---

[١] Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, p.١١٨.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India, Vol. III,p.٢٦٧.

[٢] محمد مهر على: انتشار الإسلام في بنجلاديش وغربي البنغال، ص٢٧٤.

[٣] Abdu Rahim. Social and Cultural History of Bengal, vol.١ ,p.٧٧.

والمثال على ذلك أيضاً الدور الكبير الذى قام به الصوفي الشهير "شاه جلال" في نشر الإسلام في "سيلهت"، وقد هاجر من اليمن إلى "دهلى" ومنها إلى البنغال، وهناك اصطحب "سكندر خان غازي" في فتحه "سليهت" في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وكان له ولأصحابه دور كبير في نشر الإسلام وتعاليمه في وادي "سورما" متضمناً مقاطعات "كريم غنج" و"هانلا كاندي" و"كاتشار" بولاية آسام، وقد بلغ عدد أصحابه ثلاثمائة وستون، وقد نالوا شهرة كبيرة في المنطقة بين المسلمين والهندوس معاً، وبفضل جهدهم المتواصل دخل عدد كبير من الهندوس والقبليين في الإسلام.[١]

ولا ننسى دور مشايخ السادات في نشر الإسلام بالبنغال، ومن أهمهم "مخدوم شاه دولة" الذي سافر من اليمن إلى البنغال مصطحباً عدداً من أتباعه وشقيقته وأولادها، وقد استقر مع أتباعه في "بتاجيا" الواقعة بالقرب من "شاهزادبور"، وهناك بنوا مسجداً ومارسوا نشاطهم الدعوي، ولكن الملك الهندي تصدي لهم، واستشهد "مخدوم شاه" وعدد من أتباعه في معركة دارت مع الملك الهندي، وقد حملت رأس "مخدوم شاه" إلى بيهار، ودفنها المسلمون هناك، وأقاموا عليها مسجداً، أما جسده فقد دفنه ابن أخته "مخدوم خواجه شاه نور" في "شاهزادبور" بالقرب من المسجد الذي يوجد حوله احد عشر قبرا، ثوي بهم جثمان الشيخ وأتباعه، ومازال قبره حتي اليوم يجتذب مئات من الزوار.[٢]

وكان للعلماء دور كبير في نشر الإسلام، وقد توافد إلى البنغال كثير من العلماء المسلمين الذين لعبوا دوراً كبيراً في نشر الإسلام وعلومه بها، ومن أوائل العلماء

---

[١] إشفاق: شمال شرق الهند: منطقة ثقافية متنوعة موغلة في القدم ، ص٢٥٧.

[٢] Abdu Rahim. OP.Cit., vol.١ ,p.٨٢ - ٨٤.

الوافدين من "دهلي" العالم الجليل "شرف الدين أبو توّامة الحنفي" الذي دخلها عصر السلطان "شمس الدين إيلتمش"، وأقام بمدينة "سناركَاون" حتي وفاته يدرس تعاليم وعلوم الدين الإسلامي.[١]

كما كان للشعراء البنغاليين المسلمين الذين عاشوا في القرون الثامن والتاسع والعاشر للهجرة / الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر للميلاد دور كبير في نشر الإسلام، بما قدموه من دراسات وأشعار باللغة البنغالية تعرض تعاليم الإسلام العظيمة للبنغاليين للذين لا يعرفون العربية والفارسية، ويستدل من أسماء هؤلاء الشعراء المسلمين على كونهم من أصل محلي.[٢]

ولا ننسي الدور الكبير الذي لعبه سلاطين البنغال في نشر الإسلام في البنغال، وذلك بفضل توسعاتهم العسكرية في البنغال، وقد دخل كثير من الهندوس في الإسلام طمعاً في تقريب الحكام المسلمين لهم، وقد ذكر "باربوسا" تحول كثير من الهندوس إلى الإسلام يومياً لنيل الحظوة لدي السلطان.[٣]

كما كان لمعاملة السلاطين المستنيرة الرحيمة للهنود أثر كبير في دخولهم في الإسلام أكبر من تأثير فتوحاتهم بها، فلو اقتصر الأمر على الفتوحات التي قاموا بها في البنغال لكان قد فر كثير من الهندوس مهاجرين منها، ولكن كان للاحترام والمعاملة الطيبة التي لقوها من السلاطين أثر كبير في دخول عدد كبير منهم في الإسلام، كما قام سلاطين البنغال برعاية علماء وشعراء الهندوس، منهم السلطان "جلال الدين محمد" الذي كان مغرماً بالثقافة الهندية، وقام بتقريب العلماء والشعراء

---

[١] عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، ج١، ص١٠٢.

[٢] محمد مهر على: انتشار الإسلام في بنجلاديش وغربي البنغال، ص٢٧٤.

[٣] Barbosa, Duarte.The Book of Duarte Barbosa, p.١٤٨.

الهنود، ومن أشهرهم العالم السنسكريتي "راي موكيت"، والشاعر "فريهاسباتي" الذي أجلسه على فيل تعظيماً له، وأهداه جواهر غالية، وكان راعياً للغة السنسكريتية.

وكثيراً ما كان يصاحب إسلام أحد الهندوس تحول أقاربه إلى الإسلام، ونجد انعكاس هذا الأمر في الأدب البنغالي المعاصر، فيشير كتاب "رسول فيجايا كافيا" "لشيخ شاند" إلى دخول ثلاثة من البراهمة في الإسلام، وقد نجحوا في إقناع أقاربهم بالدخول في الإسلام.[١]

ثانياً: التقسيم الطبقى للمسلمين فى البنغال

قُسم المجتمع الإسلامى إلى ثلاث طبقات هي: الطبقة العليا وتشمل السلاطين والحكام والولاة وكبار العلماء والقضاة ورؤساء الدواوين وقادة الجند بالإضافة إلى الحكام المحليين الذين أسلموا وظلوا على ولاياتهم، والطبقة الوسطى التى تشمل ملاك الأراضى والتجار وعامة العلماء وأصحاب المهن والجنود، وطبقة العامة وتشمل الفلاحين والعمال وأرباب الحرف الصغيرة[٢]، بالإضافة إلى العبيد والجواري.

- **الطبقة العليا**

---

[١] Abdu Rahim. Social and Cultural History of Bengal, vol.١ ,p.٦٨,٦٩.

[٢] عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلي آخر الحكم العربي، القاهرة، دار العدالة للنشر، ١٩٩١م، ص١٧٩.

ضمت الطبقة العليا حكام البنغال وسلاطينها وأمرائهم، وعد السلطان هو رأس الدولة وقائد المجتمع الإسلامي، ومن أهم الأعباء المنوطة بالحاكم المسلم أو السلطان حماية المجتمع الإسلامي والإرتقاء به، والعمل على نشر الإسلام، ورعاية العلماء والمؤسسات الثقافية من خلال بناء المساجد والخانقاوات والمدارس، وتوجيه الجيش للفتوحات والقضاء على المتمردين، كما وجهوا اهتمامهم للمجتمع الهندي في البنغال، فقد حظى الهندوس بحرية دينية في عهدهم بفضل سياستهم العادلة المستنيرة، كما حظيت الحركات الإصلاحية الاجتماعية الهندية برعاية سلاطين البنغال.

وقد انعكس ازدهار وغني البنغال فترة حكم السلاطين على أبهة وعظمة البلاط البنغالي، وقد حاز السلطان باحترام وطاعة الشعب البنغالي، وأياً كان الحاكم الذي يعتلي العرش فهو يحظي بتبجيل وطاعة الشعب، وقد عمل سلاطين البنغال على جعل بلاطهم كعبة للعلماء لينافسوا به بلاط سلاطين "دهلي" والسلاطين المجاورين لهم، كما حرصوا على إقامة مراسم فخمة للبلاط، وعاش سلاطين البنغال في قصور عظيمة، وأنارت عواصمهم بالمباني الفخمة، وتشهد أنقاض مدينتي "غور" و"بندوه" على عظمة وجمال معمارهما.

وقد أمدنا الرحالة الصينيون بصورة عن عظمة بلاط سلاطين البنغال في "بندوه" إبان عصر السلطان "غياث الدين أعظم شاه"، فوصف "سينج شا شينج لان هويهيو" قاعة الاستقبال ذات الأعمدة النحاسية المزخرفة بصور الزهور والحيوانات، وقد اصطف بها أكثر من ألف رجل بأسلحتهم اللامعة، هذا غير الفرسان والرجال الذين يملأون فناء القصر حاملين أسلحتهم المختلفة، ويجلس السلطان على عرش عالٍ مرصع بالأحجار الكريمة، ويقف على جانبه الأيمن مئات

من خدمه حاملين المظلة الملكية، وقادهم إلى السلطان رجلان يرتديان ملابس فضية، ويضعون عمامات على رؤوسهم، وعند بلوغهم منتصف القاعة توقفوا، وتبادل قيادتهم إلى السلطان رجلان يرتديان ملابس ذهبية، وقد نثرت البعثة الصينية هداياها على سجاجيد القاعة بعد أن أذن السلطان لهم بقراءة رسالتهم، وقام السلطان بإهدائهم هدايا ثمينة.[١]

ومن مراسم البلاط السلطاني التي وضعها السلطان "فتح شاه" أن تقوم فرقة من "البايك" مكونة من خمسة آلاف جندى بالوقوف كل صباح أمام القصر لتحية السلطان وتعزف الموسيقي، وبعد أدائهم التحية للسلطان، يحل محلهم غيرهم للحراسة، ولا ينصرفون ليلاً إلا بعد أداء تحية السلطان وعزف الموسيقي.[٢]

وقد انبهر السلطان "همايون شاه" عند فتحه للعاصمة "غور"، فكأنه يرى الجنة في كل ناحية بها وقد حفت بها الحور، وقد امتلأت بالقصور العظيمة المفروشة بالسجاجيد الغالية، وحفلت دواليبها بالأواني المصنوعة من الذهب، وأقيمت أعمدتها من خشب الصندل، وصنعت أرضها وحوائط حجراتها من الحجر الصيني، وقد فرشت بالأثاث الغالي، وازدانت حدائقها بالورود وجداول الماء الحجرية، وقد افتتن السلطان "همايون" عند إقامته في أحد هذه القصور، حيث قضي عدة أشهر في "غور" في سعادة تامة، وبلغ من افتتانه بسحرها أن غير اسمها إلى "جنت آباد".[٣]

---

[١] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , pp.٢٤٢- ٢٤٦.

[٢] Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, p.١٢١.

[٣] Abdur Rahim, Mohammad. OP.Cit., p.٢٥٣.

Gul-Badan Begam. Humayun-Nama . The History of Humayun by Translated by Annette S. Beveridge. New Delhi, Goodword, ٢٠٠١,p.٩٠.

وكان يعاون السلطان بطانة من الأمراء إتخذت ألقاباً مختلفة تبعاً لوظائفهم، أما المناصب العسكرية فيأتي على رأسها "الخان"، ويكون تحت إمرته عشرة آلاف فارس، ويليه "الملك" الذي يكون تحت إمرته ألف فارس، واطلق لقب ملك على عدد من كبار رجال البلاط مثل لقب "ملك الأمراء والوزراء"، ودخل لقب "ملك" في ألقاب السلاطين كما يظهر في عملاتهم، من ذلك إطلاق السلطان "باربكشاه" على نفسه لقب "الملك العادل"، ويلي الملك الأمير الذي يكون تحت إمرته مائة فارس، وآخر هذه المناصب العسكرية الإصفهسلارية، ويكون تحت إمرتهم دون هذا العدد، وهم لا يحظون بقرب السلطان.[١]

ومن الوظائف الهامة في القصر السلطاني رئيس الحرس السلطاني المسمي بالبنغالي "شاتري"، ومن أشهر من إحتل هذا المنصب "كيسافا شاتري" الذي شغل هذا المنصب عهد السلطان "حسين شاه"، وقد عملت أسرة "كيسافا" في هذا المنصب من أسلافه ونسله، وقد ظلت هذه الأسرة محافظة على هذا المنصب عدة أجيال لما عرفت به من الصدق والكفاءة، فجده "إسهان خان" ووالده "جوبيناث باسي" المعروف باسم "بيراندر خان" وابنه "شاكراباني خان" كلهم شغلوا هذا المنصب.

---

[١] العمري، أحمد بن يحي بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الباب الأول في مملكة الهند والسند)، دراسة وتحقيق محمد سالم بن شديد العوفي، ط١، مطبعة المدني، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ص١٣٠.

Abdur Rahim, Mohammad. OP.Cit., p.٢٥٣.

ومنصب "السلحدار" من المناصب العسكرية الأخري في القصر، ومن أشهر من عمل به في بداية حياته "فخر الدين مبارك شاه"، كان سلحدار "بهرام خان" حاكم "سناركَاون" ، وما لبث أن انقلب على سيده واستولي على الحكم. [١]

ويعد منصب الوزير من أهم المناصب الإدارية، وهو رأس النظام الإداري والمشرف عليه، وقد شهدت البنغال كلا نوعي الوزارة وزارة التنفيذ ووزارة التفويض، وذلك طبقاً لقوة وضعف السلاطين، فعند تولي سلطان ضعيف أو صغير السن يعلو نفوذ الوزير، ومن أشهر وزراء التفويض في البنغال "مظفر حبشي" وزير السلطان "محمود شاه بن فيروز شاه"، وهو عبد حبشي كان قد ساعده في الوصول للحكم، وقد تولي إدارة الشئون المالية والإدارية للمملكة، وفرض سيطرته على كل شئونها، ولم يبق للسلطان "محمود" إلا قليل من السلطة. [٢] وأيضاً "سيد حسين شريف مكي" الذي شغل منصب الوزارة للسلطان "مظفر شاه حبشي"، وعهد إليه بكل شئون الدولة، وبسبب كثرة مظالم السلطان قام "سيد حسين" بانقلاب ضده وأطاح به، واعتلى العرش من بعده. [٣]

ومن أشهر وزراء التنفيذ "تقي الدين بن عين الدين البندوي" الذى بنى كثيراً من العمارات أهمها مسجده الكبير في "سناركَاون"، بناه سنة (٩٢٩هـ / ١٥٢٢م) ، تولي

---

[١] الهروي: طبقات أكبري، ج٣، ص١٦٤.

Abdul Qadir, Ibn-I-Muluk Shah, Muntakhabu-T-Tawarikh,p.٣٠٨.

Ferishta, Tarikh-i- Firistah. OP.Cit., p.٣٢٨.

Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, ,p٩٤, ٩٥.

[٢] Ferishta. OP.Cit.vol. ٤, p.٣٤٥,٣٤٦.

Salim, Gulam Husain. OP.Cit.,p.١٢٦.

[٣] Ferishta. OP.Cit.. ٤, p.٣٤٧,٣٤٨.

Salim, Gulam Husain. OP.Cit., P.١٢٦ - ١٢٨.

الوزارة هو ووالده للسلطان "مبارك شاه"، ولقبهما "مجلس مختار"، وتولي جده الوزارة فترة طويلة، فكان وزيراً للسلطانين "حسين شاه" وابنه "نصرت شاه"، وكان يلقب "مجلس سرور".[١] ويستدل من ذلك على توارث بعض الأسر منصب الوزارة عدد من الأجيال.

وقد أمدنا السفراء الصينيون بترتيب الحاشية في البلاط السلطاني، فذكروا انتصاب الوزراء والأمراء والمنصبدار على كلا جانبي العرش الملكي في أماكن مخصصة لكل شخص، ويحيط بالسلطان حرس خاص، هذا غير المشرفين على مراسم البلاط وإدارة القصر والذين من أهمهم "الباربك" أو "أميري حاجب" وهو رئيس التشريفات بالبلاط السلطاني، ويعد من المراتب العليا في البلاط، وقد تمتع بهيبة كبيرة، وهو المسئول عن مراسم البلاط، ومن أهم مسؤلياته ترتيب الأمراء والموظفين تبعاً لمنزلتهم، ويليه "نائب باربك" الذي كان على صلة قريبة من السلطان، ومن أهم واجباته ترتيب الاحتفالات.[٢]

ومن الوظائف الهامة في القصر السلطاني "وكيل دار"، وهو بمثابة مدير للبيت السلطاني كله، فهو يشرف على دفع الرواتب للمستخدمين في القصر، والإشراف على المطبخ السلطاني والشرابخانة والاصطبلات السلطانية، ورعاية أبناء السلطان الصغار، وهو المدبر لأمر البيت السلطاني، ومن أهم من شغل هذا المنصب "حسام الدين وكيل دار باربك"، وهو جد "شمس الدين عفيفي" مؤلف "تاريخ

---

[١] عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، ج٤، ص٣٢٣.

[٢] عادل محمد نجيب رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلي، ص٣٠. ٣٤.

Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , p.٢٤٧, ٢٤٨.

فيروزشاهي"، وقد عينه سلطان "دهلي" "غياث الدين" على البنغال، وذلك بعد قيامه بحملة عليها للقضاء على تمرد "طغرل".[١]

ويقوم بمساعدتهم "الحجاب" الذين يقومون بوظائف مختلفة في القصر، منها اصطحاب كبار الوافدين إلى السلطان، وتوصيل عرائض الشكوي إلى الموظفين، وتوصيل العرائض إلى "أمير حاجب" ليعرضها على السلطان، ومن الوظائف الأخري في البلاط "النقيب" الذي يعلن عن قدوم السلطان إلى البلاط، كما يعلن عن أسماء الوافدين للبلاط.

ويعد "دبيري خاص" من أهم العاملين في القصر، فهو كاتب الخاص السلطاني، ويحمل ختم الوزير، ويقوم بكتابة الفرمانات والأوامر السلطانية، ولذلك كان من الضروري أن يكون ملماً بفنون الخط والكتابة، ومن أشهر من تولي هذا المنصب عصر سلاطين البنغال "دبيري خاص روب" البرهمي الذى مهر في الكتابة والإنشاء، كان "دبيري خاص" للسلطان "علاء الدين حسين شاه"، و"شمس الدين دبير" الذي اشتهر بمهارته في الكتابة والإنشاء، وكان قد عمل لدي السلطان "غياث الدين بلبن"، ثم عمل "دبيري خاص" لابنه "نصير الدين بغراخان" حاكم البنغال.[٢]

وانضم السادات للطبقة العليا، وهم المنحدرين من نسل الرسول (صلي الله عليه وسلم)، ولذلك نالوا مكانة عالية في المجتمع، وحظوا برعاية حكام وأمراء البنغال، فكانوا يتلقون رواتب من الدولة في عهد "إيواز الخلجي"، ومن أهم الأمراء الذين

---

[١] Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, P.٨٠

[٢] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal, p.٢٤٧, ٢٤٨.

اظهروا عناية بالسادات "خان جهان" حاكم "باجيرهات" الذي أطلق على نفسه "محب المنحدرين من الرسول" (صلي الله عليه وسلم)

وقد اختلط السادات بالمجتمع، ولم ينغلقوا على أنفسهم، وتزوجوا من طبقاته المختلفة، فمثلاً تزوج "حسين شاه" ابنة القاضي "ردهه" قبل اعتلائه السلطنة، بينما تزوج ابنه "نصرت شاه" من بنت السلطان "إبراهيم اللودي"، وتزوج "ماهيسوار" جد الشاعر "محمد خان" من فتاة برهمية، وقد حرصوا على أن يتلقوا تعليمهم على كبار المشايخ سواء من السادات أو من غيرهم، فقد تلقي الشيخ "علاء الحق" تعليمه على الشيخ "سراج الدين عثمان البداوني" الذي لم يكن من السادات، وقد اندمج السادات في المجتمع المحلى للبنغال، وعملوا في مهن مختلفة، وأتقن بعضهم اللغة المحلية، وقد نالوا احترام المسلمين جميعاً، وذلك لشرف انتسابهم للرسول (صلي الله عليه وسلم) ولأخلاقهم العالية.

ولقد كان قدوم السادات إلى البنغال على مدار تاريخها الإسلامي، وانتشروا فيها وسكنوا مناطق مختلفة بها، وقد شكلوا عنصراً هاماً في عدد من المدن البنغالية من أهمها مجتمع مدينتي "بندوه" و"سدكَاون"، وقد رأينا ارتقاء "حسين شاه" إلى السلطة وتأسيسه سلطنة السادات التي حكمت البنغال (٨٩٩هـ : ٩٤٥هـ /١٤٩٣م : ١٥٣٨م).[١]

وينتمي أثرياء التجار إلى الطبقة العليا، وطبقاً لما ورد في كتابات الرحالة وجد في موانئ البنغال طائفة من التجار الفاحشى الثراء الذين امتدت تجارتهم عبر البحار إلى الجزيرة العربية وسوريا والحبشة وإيران وغيرهم، وكونوا ثروات طائلة، وعاشوا في

[١] Abdul Karim. Social History of The Muslim in Bengal,p.١٤٩,١٥٠.

رفاهية عالية[١] ، فسكنوا القصور الفخمة، وارتدوا الملابس الغالية والجواهر الثمينة، وضجت قصورهم بالجواري والخدم.[٢]

- **الطبقة الوسطي**

أما سائر التجار فشكلوا قطاعاً هاماً في الطبقة الوسطي التي ضمت التجار والصناع والحرفيين والعلماء، وكان لطائفة التجار ما يشبه النقابة، فضلاً عن الحى الخاص بهم، ومما يدل على ذلك وجود ما يشبه الرئيس لهم، ويلقب "بملك التجار"، وهو نفس النظام الذى كان سائداً فى المدن التجارية الفارسية، وكان لبعضهم حظوة وجاه ، مثل ملك التجار" قطب الدين" وغيره، وتمتعت الطبقة الوسطى عموماً بعطف السلاطين، ولذلك استمتعوا بممارسة حياتهم الاجتماعية بمختلف مظاهرها، واقتنوا الكثير من المماليك والجوارى.

أما طائفة الحرفيين والصناع فإن كانوا أقل فى المركز الاجتماعى من التجار إلا إن التجار والحرفيين كانت بينهم مصالح مشتركة ومعاملات مترابطة، وانتظمت الحرف والمهن فى صورة طائفية أى فى شكل نقابى مثل التجار.[٣]

ويضرب التقسيم الحرفي بجذوره في المجتمع البنغالي، وانعكس ذلك على المجتمع الإسلامي فظهرت العديد من الطوائف الحرفية بين المسلمين، مما أحدث توازن وإنسجام في المجتمع، وقد عد نساجي القطن من أهم طوائف الصناع في

---

[١] Varthema. The Travels of Ludovico DI Varthema, P. ٢١٢.

[٢] Barbosa, Duarte. The Book of Duarte Barbosa, p.١٤٨.

[٣] عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلى، ص ص٢٨٠: ٢٨٢.

البنغال، وقد تطورت طائفتهم في ظل الحكم الإسلامي للبنغال، وتشكلت من قسمين: القسم الأول "تانتي" الهندي، والقسم الثاني "جولاها" المسلم.

كما عدت طائفة الصيادين من المهن الهامة في البنغال نظراً لكثرة أنهارها، وهي تتكون من قسمين: القسم الهندي ويضم طوائف "جاليا" و"كايبارتا" و"بودس" وغيرها، والقسم المسلم وأهم طوائفه "نيكاري" و""دهاوا" و"ماهيفراش"، كذلك انقسم صانعو الزيوت إلى قسمين: القسم الهندي "كولي"، والقسم المسلم "كهيلي"[١]، ومن ذلك يتضح لنا أن أغلب الصناعات في البنغال تنقسم لطائفتين إحداهما هندية والأخري مسلمة.

وتضم الطبقة الوسطي أيضاً العلماء والفقهاء والصوفية الذين تمتعوا بنفوذ كبير سواء على الرعية أو السلاطين، فكما قال الإمام "الغزالى" "السلاطين يحكمون على الرعية والعلماء تحكم على السلاطين"، وكان للفقهاء دور بارز في تعريف السلاطين بحدودهم الشرعية وإسداء المشورة إليهم.[٢] وقد اشتغل علماء البنغال بالتدريس ونشر الإسلام وعلومه بين الهندوس، من ذلك دور الشيخ "ركن الدين السمرقندي" في إسلام البراهمي "بهوجار". ولم يشتغل العلماء بالتدريس في المساجد والمدارس فقط بل قام بعضهم بإنشاء مدارس اشتغلوا بالتدريس بها، من ذلك قيام الشيخ "شرف الدين أبو توامة" بإنشاء مدرسة عمل على تدريس العلوم الإسلامية بها.[٣]

---

[١] Mukherjee, Ramkrishna, Social Background of Bangla Desh ,p.٢٦٦.

[٢] عادل رستم: المرجع نفسه، ص١، ٢، ٧٥.

[٣] Abdul Karim. Social History of The Muslim in Bengal,p.١٥٠, ١٥١.

هذا وقد شغل العلماء بعض المناصب الهامة في الدولة من أهمها منصب القاضي، وقد حظي القضاة باحترام سلاطين البنغال، ومن أشهر الوقائع التي نستدل منها على احترام السلاطين للقضاة ما حدث في عهد السلطان "غياث الدين أعظم شاه بن السلطان سكندر شاه" الذى طاش سهمه أثناء إطلاقه له وأصاب ابن أرملة هندية، فذهبت الأرملة شاكية إلى القاضي "سراج الدين" الذي اصطحبها للسلطان، وعرض قضية الأرملة عليه، وطلب منه أن يقوم بإرضائها، وقد استجاب السلطان للقاضي وقام بإرضاء الأرملة، وقد سر السلطان من شجاعة وعدالة القاضي، وأرسل له هدايا.[١]

وقد لعب مشايخ الصوفية دوراً كبيراً في المجتمع البنغالي، فقد استقبلت البنغال عدداً كبيراً منهم، وجعلوا مناطق كثيرة من البنغال مسرحاً لنشاطهم بالدعوة للإسلام وإنشاء الخانقاوات، وكان لكل شيخ عدد كبير من المريدين، وقد لعبوا دوراً كبيراً في إرساء دعائم الحكم الإسلامي بالبنغال، وفي التأثير على الطبقة الحاكمة، وفي نشر الإسلام وخاصة بين عامة الهنود، كما قدموا يد العون للفقراء والمعوذين.[٢]

وكان لتقريب سلاطين البنغال للصوفية أن لعبوا دوراً بارزاً في الحياة السياسية في البنغال فترة الحكم الإسلامي لها، ومن أهم السلاطين الذين اشتهروا بحبهم وتقريبهم للصوفية السلطان "فخر الدين مبارك شاه"، ولحبه الشديد للصوفية وثقته فيهم قام بجعل الصوفي "شيدا" نائباً عنه في "سدكَاون" أثناء خروجه للحرب، فاستبد "شيدا" بالحكم، وقتل ابن السلطان الوحيد، وعند وصول الأخبار إلى

---

[١] Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, p.١٠٩,١١٠.

[٢] Abdul Karim. OP.Cit.,p.١٥٢.

السلطان أسرع بالعودة، فخاف "شيدا"، وفر هارباً مع أتباعه إلى مدينة "سركَاون"، فبعث السلطان جيشاً لحصار المدينة، فخاف أهل المدينة وقبضوا على "شيدا" وسلموه لعسكر السلطان، وأمر السلطان أن يبعثوا إليه برأسه، وبسبب هذه الواقعة انقلب السلطان على الصوفية، وقام بقتل عدد كبير منهم.[١]

وكان السلطان "غياث الدين أعظم شاه" من مريدي الصوفي الشهير "نور قطب علم"، وقد رأينا الدور الكبير الذي لعبه "نور قطب علم" في الحفاظ على الإسلام بالبنغال، فبعد استيلاء راجا "كانس" على العرش، قام "نور قطب علم" بإرسال استغاثة إلى سلطان "جونبور" "إبراهيم شرقي" الذي هرع لنصرة المسلمين في البنغال، مما أثار رعب الراجا الذي استدعي الشيخ ليرجوه أن يسأل السلطان الرحيل، ولكن الشيخ رفض رجاءه معلناً رغبته في عودة بلاد البنغال للإسلام، حينئذٍ اضطر راجا "كانس" إلى التنحي عن العرش لابنه "جادو" الذي أعلن إسلامه علي يد الشيخ "نور قطب علم"، وسماه السلطان "جلال الدين محمد"، وقام بتلقينه تعاليم الدين الإسلامي، وقد أثرت تعاليم الشيخ في السلطان "جلال الدين" الذي أصر على إسلامه في مواجهة محاولات أبيه ووزرائه الهندوس إعادته إلى دينه، حتي اضطر والده إلى سجنه، وقتل الشيخ "أنور بن قطب علم"، وبنجاح السلطان في التخلص من والده عمل على إعادة نشر الإسلام في البنغال، وتقريب العلماء والصوفية وعلي رأسهم الشيخ "زاهد" ابن أخو الشيخ "نور قطب علم".[٢]

---

[١] ابن بطوطة: الرحلة، ج٢، ص١٤٨.

[٢] Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, p.١١٠,١١٣ - ١١٧.

Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslim of Bengal.vol. ١.p.١٥٢,١٥٣.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India, Vol. III,p.٢٦٦,٢٦٧.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultante.p.١٠٤, ١٠٥.

الطبقة الدنيا

وتشمل صغار الحرفيين وصغار التجار، وقد أمدنا الشاعر البنغالي "ميكيندا راما" ـ الذي عاش في أواخر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ـ بصورة عن الطبقة الدنيا للمجتمع الإسلامي، والتي من أهم عناصرها أصحاب المهن والحرف الصغيرة، والذين منهم باعة اللبن "جوالا"، وقد ذكر عدم التزامهم بالصيام وبالصلاة في المساجد، وطائفة النساجين "جولها"، و"مكاري" وهم طائفة المكارين الذين يقودون الثيران، وبائعي الكعك "بيثاري"، وبائعي السمك "كباري" وهم لا يطلقون لحاهم، وقد ذكر أنهم دائمي الكذب، و"كال" وهم الذين يمارسون الشحاذة ليلاً، و"سانكار" الذين يقومون بالنسج على النول، والنبالون "تيركار" الذين يقومون بالتجوال من مدينة لأخري، وصانعي الورق "كاغد"، و"رانج ريز" الذين يقومون بصباغة الملابس، ويتميزون بإرتدائهم قماش أحمر على رؤوسهم، والحجامون الذين يقومون بالتجوال من مدينة لأخري، وبائعي اللحم "قصاي"، و"الدارزيون" الذين يقومون بحياكة الملابس، و"القلندريون" وهم الصوفية الدائمي التجوال، والهنود الذين اسلموا من طائفة "جهورسال".[١] ومن طوائف المسلمين الوضيعة طائفة "ماريا" في آسام، وهم سلالة الأسري المسلمين الذي سجنهم ملك آسام، وبعد إطلاق سراحهم استوطنوا بها وتزوجوا من نسائها.[٢]

- **العبيد والجواري**

---

[١] Abdul Karim. Social History of The Muslim in Bengal,p.١٥٥,١٥٦.

[٢] إشفاق: شمال شرق الهند: منطقة ثقافية متنوعة موغلة في القدم، ص٢٥٧.

لقيت تجارة العبيد والجواري سوقاً رائجاً في البنغال، فعند زيارة "ابن بطوطة" لها وجد أعداداً هائلة من العبيد والجواري في الأسواق، ونظراً لكثرة أعدادهم رخصت أسعارهم، فقد ذكر "ابن بطوطة" أن الجارية الحسناء التي تشتري للمتعة تباع بدينار ذهبي، وقد اشتري جارية رائعة الحسن تسمي "عاشورة" بهذه القيمة، واشترى أصدقاءه غلاماً صغير السن حسن الشكل اسمه "لؤلؤ" بدينارين من الذهب.[١]

وطبقاً "لباربوسا" عمل التجار العرب في شراء وبيع العبيد، فكانوا يرتحلون عبر البنغال ليشتروا العبيد من آبائهم أو ممن يقومون بخطفهم وإخصائهم، وكثير منهم كانوا يتوفون بسبب هذا الأمر، ويبيعون هؤلاء العبيد المخصيون الأقوياء المدربين بأسعار عالية، وقد عملوا بصفة خاصة كحراس للحريم الملكي، كما شغلوا وظائف عالية في البلاط والجيش، وعمل بعضهم كولاة وحكام، وكونوا ثروات طائلة[٢]، واشتهرت مقاطعات بعينها بالبنغال بكثرة العبيد المخصيين، من أهمها مقاطعة "رانجبور" (جهوراجهات) ومقاطعة "سيلهت"، والأخيرة كان يتم بها إخصاء العبيد[٣]، أما سائر العبيد فكانوا يباعون بروبيات قليلة.[٤]

ولقد حاز المماليك فترة الحكم الإسلامي للبنغال مكانة عالية، وذلك لانخراطهم في السلك السياسي والعسكري، ووصل عدد كبير منهم إلى مناصب عالية، بل إن غالبية الحكام الذين حكموا البنغال من قِبَّل سلاطين "دهلي" كانوا من المماليك الذين انخرطوا في خدمتهم، ومن أهم هؤلاء الحكام:

---

[١] ابن بطوطة: الرحلة، ج٢، ص١٤٧.

[٢] Barbosa, Duarte . The Book of Duarte Barbosa, p.١٤٧.

[٣] Abul Fazl Allam. The Ain I Akbari ,p.١٢٣,١٢٤.

[٤] Diwakar R.R. . Bihar through the Ages, p.٤٦٤.

"سيف الدين أيبك" وهو من أتراك الخطا، وكان من مماليك السلطان "إيلتمش"، ترقي في بلاطه ، وحاز لقب "أمير المجالس"، ثم عين حاكماً على بيهار، وبعدها انتخب لحكم البنغال.[١] و"عز الدين "طوغان خان" وهو من مماليك السلطان "إيلتمش" ومن أتراك الخطا أيضاً.[٢] و"ملك مغيث الدين أوزبك"، المعروف أيضاً باسم "ملك إختيار الدين أوزبك"، كان عبداً للسلطان "إيلتمش"، وترقي في بلاطه، وتنقل في حكم عدد من الولايات حتي عهد إليه بحكم "لكهنوتي".[٣] و"أرسلان خان" الذي كان مملوكاً للسلطان "إيلتمش" ثم ترقي في مناصب الدولة، وعرف بشجاعته، وقد حكم إقليمي "بيهار" والبنغال.[٤] و"مغيث الدين طغرل خان" الذي حكم البنغال تسعة أعوام[٥]، وكان "طغرل خان" مملوكاً تركياً يتصف بالشجاعة والمروءة والسخاء، وقد استقل بحكم البنغال ولقب نفسه بالسلطان "مغيث الدين".[٦]

---

[١] Salim, Ghulam Husain. The Riyazu S Salatin, p.٧٣,٧٤.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultanate, p.٣٨.

[٢] Hussain, Syed Ejaz. OP.Cit., p.٣٩.

[٣] Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslim of Bengal. Vol. ١,p.٩٦, ٩٧.

Hussain, Syed Ejaz. OP.Cit., pp.٤٣- ٤٥.

[٤] Ali, Muhammad Mohar. OP.Cit.. Vol. ١,p.٩٨,٩٩.

Hussain, Syed Ejaz. OP.Cit., p.٤٨,٤٩.

[٥] Hussain, Syed Ejaz. OP.Cit., p.٥٧.

[٦] الهروي: طبقات أكبري، ج١، ص٩٢ ،٩٣. عصام الدين عبد الرؤوف: بلاد الهند في العصرا لإسلامي، ص٦٨.

Salim, Ghulam Husain. OP.Cit.,pp.٧٩ - ٨١.

Ali, Muhammad Mohar. OP.Cit.. Vol. ١,p.٩٩,١٠٠.

Hussain, Syed Ejaz. OP.Cit., p.٥٣ , ٥٤.

وكان للمماليك مشاركة بارزة في الحياة السياسية إبان عصر سلاطين البنغال، بل وصل نفوذهم في بعض الأحيان إلى إقامة سلطان وإقالة آخر، فلم يكن "لحاجي إلياس" أن يغتال السلطان "علاء الدين" ويصعد لعرش البنغال بدون مساعدة أحد أخصياء السلطان.[١] وقد قام كل من "شادي خان" و"ناصر خان" بقيادة جبهة الاعتراض ضد السلطان "شمس الدين أحمد شاه" الذي كرهه الأمراء والشعب لتعطشه لسفك الدماء، وقد وصل الأمر إلى تمكنهما من قتله، وتولي "ناصر خان" عرش البنغال.[٢] وتدلنا هذه الحادثة على نفوذ المماليك في بلاط سلاطين البنغال الذي يتزايد بضعف السلاطين أو سوء سلوكهم وانقلاب الشعب ضدهم.

وكان لتصاعد نفوذ بعض المماليك أن نجح بعضهم في الاستقلال عن سلاطينهم، من ذلك "شهاب الدين" مملوك السلطان "سيف الدين" الذي قوي مركزه بعد انتصاره على راجا "كانس"، فجنح للاستقلال، وقام بسك العملة باسمه، وأطلق على نفسه لقب سلطان، ولكن راجا "كانس" ما لبث أن هزمه وقتله.[٣]

هذا وقد رأينا تصاعد نفوذ العبيد الأفارقة منذ عهد السلطان "باربكشاه" حتي نجحوا في الحصول على مناصب عالية في البلاط، كما شكلوا جزءاً كبيراً من حرس القصر السلطاني، ووصل الأمر إلى تمكنهم من الوصول إلى الحكم وتأسيس دولة

---

[١] Salim, Ghulam Husain. OP.Cit., p.٧٣,٧٤.

[٢] الهروي: طبقات أكبري، ج٣، ص١٦٧.

Ferishta. Tarikh-i- Firistah.vol. ٤, p.٣٣٨.

Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, P.١١٩.

[٣] Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslim of Bengal.vol. ١. p.١٤٧,١٤٨.

لهم.[١] ومن أهم سلاطينهم "غياث الدين باربكشاه" و"سيف الدين فيروز شاه" الذي اشتهر بكرمه وعدله وازدهرت البلاد في عهده، و"قطب الدين محمود شاه"، ولم يمتد حكم الأحباش للبنغال فترة طويلة، فقد حكموا في الفترة (٨٩٣هـ / ١٤٨٧م: ٨٩٨هـ / ١٤٢٩م) وانتهت دولتهم على يد "علاء الدين سيد حسين" الذي قام بطردهم من البنغال عقب توليه الحكم.[٢]

العلاقات بين المسلمين والهنود في البنغال تحت الحكم الإسلامي

تعد علاقة التعاون والتفاهم بين المسلمين والهندوس من أهم العلامات المميزة في التاريخ الاجتماعي للبنغال فترة الحكم الإسلامي، ومن أهم العوامل التي أسهمت في تطور هذه العلاقة الودية بين أكبر قطاعين في المجتمع البنغالي الحرية التي منحها الحكام المسلمون للهندوس لممارسة حياتهم المدنية والدينية، والاستعانة بهم في الشئون السياسية والإدارية، مما خلق روح التعاون بين الطرفين، هذا بالإضافة إلى المعاشرة الطيبة للمسلمين الذين عاشوا مع الهندوس في وئام، وخلال قرون من الإتصال السياسي والاجتماعي بين الطرفين استطاع كلا الطرفين تفهم ثقافة وعادات الطرف الآخر واحترامها، وقد أدت هذه العلاقة من التفاهم

---

[١] الهروي: المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٨.

Salim, Gulam Husain. OP.Cit., p.١٢١.

Ali, Muhammad Mohar. OP.Cit., p.١٧٧.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India. Vol. III,p.٢٦٨.

[٢] Ferishta. OP.Cit..vol. ٤, pp.٣٤٩- ٣٥٠.

Salim, Gulam Husain. OP.Cit., p.١٣٠,١٣١.

Ali, Muhammad Mohar. OP.Cit.. p.١٩٠,١٩١.

Haig, Wolseley. OP.Cit., Vol. III,p.٢٧١.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultante.P.١٤٣,١٤٤.

والتعاون بين المسلمين والهندوس في البنغال إلى سيادة السلام وازدهار البلد ونهضتها الثقافية والحضارية.

ولقد خضع الهنود للحكم الإسلامي في البنغال، وحظي السلطان رأس النظام السياسي والاجتماعي في الدولة باحترام وطاعة الهنود، لما حظوا به من ازدهار في ظل الحكم الإسلامي للبلاد، ويستدل على ذلك من كتابات الشعراء الهنود، فقد ذكر الشاعر الهندي "فيجاياجيوبتا" أن الشعب عاش تحت حكم السلطان حسين شاه" في سلام وسعادة حقيقيين. وأشاد الشاعر "سريكار ناندي" بالسلطانين "حسين شاه" وابنه "نصرت شاه"، وقد مدح "نصرت شاه"، ووصفه أنه ملك عظيم، كان له اهتمام كبير بالبطل الهندي الأسطوري "راما" بطل ملحمة الرامايانا"، ووصف "حسين شاه" بأنه "سيد العالم الذي يحكم بالعدل".[١]

ومما يثبت احترام الهنود للحكام المسلمين باعتبارهم رأس الدولة وحماة الحياة الاجتماعية للشعب، لجوئهم للقضاء الإسلامي لفض نزاعاتهم، باعتبار القاضي هو ممثل السلطان، فقد لجأت طائفة "الفيشنوية" للقاضي المسلم ليوقف الاعتداءات ضد معلمهم "شايتانيا" وأتباعه في الشارع ليلاً، وبالفعل قام القاضي بإيقاف اعتداءات "شايتانيا" ضدهم. وقد قدم البراهمة شكوي ضد "شايتانيا" إلى السلطان "حسين شاه" أثناء زيارته لقرية "رامكيلي" المجاورة "لغور"، فأمر السلطان بالتحقيق فيها، والسؤال عن "شايتانيا" من مصادر مختلفة، ومن خلال المعلومات التي وصلته كون رأياً جيداً عنه، وأظهر ذلك السلطان المستنير تحمساً كبيراً لأنشطته ودعوته، وسمح له بممارسة دعوته بكل حرية، وأصدر أوامره بمنع التعرض له بالإيذاء من قبل موظفي البلاط وغيرهم "إذا قام القاضي أو الكاتول أو أي شخص

---

[١] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , p.٢٤٠, ٢٤١.

بأي طريقة بمنع دعوته حياته ستنتهي سريعاً"، وكانت هذه الحماية من السلطان "لشيتانيا" أحد أهم أسباب ازدهار دعوته وانتشارها بالبنغال، وقد أدي ذلك إلى تطوير المجتمع الهندي، ويتضح من ذلك ما ناله الهندوس من حرية في ظل الحكم الإسلامي للبنغال، فضلاً عن رعاية سلاطين البنغال للحركات الإصلاحية الهندية.[١]

وبذلك مارس الهندوس في البنغال عبادتهم بحرية تامة، بل لقد سمح السلاطين للدعاة الهندوس بممارسة نشاطهم الدعوي في المجتمع البنغالي، ولم تكن الفيشنوية هي الحركة الإصلاحية الوحيدة التي لقيت رواجاً في البنغال عصر السلاطين، إنما انتشر بها عدد من الحركات الإصلاحية الأخري من أهمها الدعوة "لكريشنا"، ومؤسسها "كريشنا تشايتانيا ديفا" (٨٩٠هـ : ٩٤٠هـ / ١٤٨٥م : ١٥٣٣م)، وهو براهمي من "ناديه" تجول في البنغال وأوريسيا للدعوة للإيمان "بكريشنا"، وقد أسس مذهبه على أساس الحب الافتتاني، وقد أحيط موته بالكتمان، وأعلن بعدها حكيماً، وانتشر مذهبه بالبنغال انتشاراً واسعاً.

ويعد "تشانديداس" البرهمي من أهم دعاة مذهب كريشنا في البنغال، وهو من الأدباء المتميزين، أنشد في حب "كريشنا" شعراً ملتهباً حول الحب الصادق المجرد من أي رغبة، وضعه في كتابه "شريكريشنا كيرتانا"، كتبه سنة (٨٥٤هـ / ١٤٥٠م). وتجددت الدعوة الكريشنائية في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي مع "موكوندارام تشاكرافارتي" الملقب "بلؤلوة الشعراء"، وله قصيدة إنشائية طويلة بعنوان "كافيكان كان تشاندي" وهي تمجيد للإلهة، وقد حظي بشعبية كبيرة بالبنغال، ويستدل من ذلك على الحرية التامة التي تمتع بها الهنود في ممارسة

---

[١] Abdur Rahim, Mohammad. OP.Cit., p.٣٣٠.

شعائرهم، وتطوير مذاهبهم والدعوة لها في حرية تامة تحت ظل حكم سلاطين البنغال، بل أيضاً تطوير لغتهم المحلية البنغالية التي كتب بها ما يقرب من مائتي أديب مسلم وهندوسي في هذه الفترة.[١]

وقد قدم سلاطين البنغال رعاية للعلماء والكتاب والموظفين الهندوس، ومن أهم الطوائف الهندوسية التي حصلت على دعم من الحكام المسلمين في البنغال طائفة "الكاياثا"، كما حصل العديد من البراهمة على رعاية الحكام المسلمين، وعمل عدد كبير منهم في البلاط.

وقد تلقي السلطان "إلياس شاه" دعماً كبيراً وخدمات عديدة من رؤساء وقادة وجنود الهندوس في مواجهة سلطنة "دهلي"، وقد خاض "شاهديو" أحد قادته من الهندوس معركة عنيفة ضد "فيروز شاه تغلق"، وقد كافأ السلطان "إلياس شاه" "الزاميندران" الهندوس على الخدمات الحربية التي قدموها له، من ذلك حصول "سيكهاي سانيا" على جاجير في مقاطعة تقع بين "شالانبيل" ونهر "بادما"، كما حصل "سوبيدهي خان" على جاجير في مقاطعة "شاكلا بهاديرا" أو "بهاتيرا" الواقعة شمال "شالانبيل"، وقد توارثت أسرته لقب "خان".

وقد منح السلطان "جلال الدين محمد" شرف عظيم للعالم والشاعر الهندي "فريشاساباتي ميرزا" بإعطائه لقب "راي موكيت"، كما منحه رتبة عالية في الجيش. وقد ظلت المكانة العالية للموظفين الهندوس إبان حكم السادات للبنغال، ففي عهد السلطان "حسين شاه" حاز أخوان من البراهمة هما "روب" و"ساناتان" مكانة عالية في البلاط، فقد شغل "روب" منصب "دابر الخاص"، وشغل أخوه الأكبر منصب

---

[١] لويس رينو: آداب الهند، ترجمة هنري زغيب، ط١، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٩م، ص١٣٠، ١٣١.

"ساركاري الملك" أو حاكم المقاطعة، وقد صور الأدب البنغالي المعاصر الهيلمان العظيم المحيط بهما، وتأثير ذلك في المجتمع البنغالي، من ذلك وصف "جاياناندا" لموكبهما بجرى آلاف الفرسان حول موكبهما، وبلغت ثروتهما نحو عشرين لكة من الذهب، وفي ذلك إثبات قاطع إلى إسناد الحكام المسلمين وظائف هامة للهنود، فكان منهم قادة الجيش والوزراء، كما عملوا في مختلف الوظائف الديوانية، والمكانة العالية التي حازها الهندوس في البلاط البنغالي شابتها كثير من مشاعر الصداقة تظهر مدي التعاون والثقة بين الهنود والمسلمين في البنغال، وبذلك استطاع الحكام المسلمون في البنغال إحداث توافق كبير بين كتلتي المجتمع البنغالي الهنود والمسلمين.[١]

ولقد ظلت طبقة الزامينداران (أصحاب الإقطاعات من الهنود) على أوضاعها تحت الحكم الإسلامي للبنغال، وقد إعطيت لهم الحرية الكاملة في إدارة إقطاعاتهم في مقابل دفع الخراج إلى سلاطين البنغال.[٢] وكان كثير من هؤلاء الزامينداران الهنود إذا وصلوا لدرجة من القوة يتحينون فرص ضعف السلطنة ليقوموا بالاستقلال، ومن أشهر الأمثلة على ذلك في تاريخ سلطنة البنغال تمكن راجا "كانس" زميندار "باثوريا" من اعتلاء عرش سلطنة البنغال بعد قتله السلطان "علاء الدين".[٣]

ولقد أصبح البراهمة والأمراء الهنود أثناء حكم راجا "كانس" هم أصحاب المكانة العليا في البلاط الملكي، فقد قام راجا "كانس" بإعلاء شأنهم في مقابل تدميره

---

[١] Abdu Rahim,Mohammad. Social and Cultural History of Bengal,vol.١ ,pp.٣٣٠- ٣٣٣.

[٢] Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultante,p.٢٥٧.

[٣] Haig, Wolseley. The Cambridge History of India, Vol. III,p.٢٦٦.

لكل معالم الحكم الإسلامي، وقتل كثير من أمراء الدولة وكبار رجال الدين، ولكنهم لم يهنئوا كثيراً، فقد اضطر راجا "كانس" تحت ضغط غزو السلطان "إبراهيم شرقي" إلى التنحي عن الحكم لابنه "جادو" الذي أعلن إسلامه وتسمي "بجلال الدين"، ولكن بعد وفاة السلطان "إبراهيم شرقي" استعاد راجا "كانس" نفوذه وشارك ابنه في الحكم، وحاول إعادته إلى عقيدته الهندوسية، ولكن "جلال الدين" تمسك بإسلامه، مما حدا بوالده إلى سجنه، وبوفاة والده قام وزراؤه الهندوس بتوليه "ماهندرا ديف" ابن راجا "كانس" الهندوسي[١]، ولكن السلطان "جلال الدين" استطاع الوصول إلى الحكم ومحو آثار الهندوس، وعمل على إعادة نشر الإسلام في البنغال، ونجح في تحويل كثير من الهندوس للإسلام، كما عمل علي الحد من سلطة البراهمة.[٢]

وكان للهنود دور كبير في الجيش البنغالي فترة الحكم الإسلامي، فقد كونوا عنصراً هاماً في الجيش كان له تأثيره السياسي والعسكري، ومن أهم فرقهم "بايكان جوكي"، وهي وحدة المشاة في الجيش البنغالي، وقد اطلقوا على أنفسهم "أبو بنغال"[٣]، وكان لهم قوانينهم وأحكامهم العرفية الخاصة بهم، وظهرت قوتهم في عهد السلطان "إلياس شاه" الذي كانوا شديدي الولاء له، وقام السلطان "فتح شاه"

---

[١] Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, pp.١١٣ - ١١٧.

Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslim of Bengal.vol. ١.p.١٥٢,١٥٣.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India. Vol. III,p.٢٦٦,٢٦٧.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultante.P.١٠٤, ١٠٥.

[٢] Salim, Gulam Husain. OP.Cit., P.١١٨.

Haig, Wolseley. OP.Cit., Vol. III,p.٢٦٧.

[٣] يظهر من هذا اللقب مدي شعورهم الوطني تجاه البنغال، وتعاونهم مع إخوانهم وحكامهم المسلمين في الدفاع عنها.

بانتخاب فرقة منهم من المقاتلين الهنود الأشداء، وجعلها تقوم بالحراسة الخاصة للسلطان.[١]

وقد بدأ تدخلهم في عزل وتولية سلاطين البنغال منذ مشاركتهم في قتل السلطان "شاهزاده"[٢]، كما ساعدوا "مظفر حبشي" على قتل السلطان "محمود شاه"، واستطاع "سيد حسين" قتل "مظفر شاه الحبشي" بمساعدة ثلاثة عشر جندي من فرقة البايكان"[٣] ، إلا إن السلطان "علاء الدين حسين شاه" قام بحل جماعة "بايكان" التي أثارت اضطرابات كبيرة في الحياة السياسية في الفترة السابقة له.[٤]

أما عن الفلاحين البنغاليين الذين شكلوا القطاع الأكبر من المجتمع البنغالي فتمدنا المصادر الأدبية البنغالية بصورة مشرقة عن روح المحبة والوئام والإخاء التي سادت بين الفلاحين المسلمين والهندوس في القرية، وذلك كما صوره "ميكندرام" في كتاباته.[٥]

---

[١] Ferishta. Tarikh-i- Firistah.vol. ٤, p.٣٤٠.

[٢] الهروي: طبقات أكبري، ج٣، ص١٦٨.

Salim, Gulam Husain. OP.Cit., P.١٢٤,١٢٥.

Haig, Wolseley. OP.Cit., Vol. III,p.٢٦٩.

[٣] الهروي: المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٩.

[٤] Ferishta. Tarikh-i- Firistah.vol. ٤, p.٣٤٩- ٣٥٠.

Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, p.١٣٠,١٣١.

Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslim of Bengal.vol. ١. P.١٩٠,١٩١.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India, Vol. III,p.٢٧١.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultante.P.١٤٣,١٤٤.

[٥] Abdu Rahim,Mohammad. Social and Cultural History of Bengal,vol.١ ,p.٣٣٢.

وقد عمل رؤساء الهندوس في جباية الجزية، وكان يعمل تحت أيديهم متصرفين ورؤساء القري والجباة.[١] ويكون على جامع الضرائب في كل قرية العديد من الواجبات من أهمها القضاء على قطاع الطرق واللصوص لتأمين الأهالي، وجمع الضرائب من الفلاحين المستأجرين للأرض بطريقة ودية، مراعياً في ذلك اختلاف جودة الأرض واختلاف انتاجيتها من مكان لآخر، وتقديم الاسهامات للمزارعين لزيادة الانتاجية، وإحصاء الأراضي البور والعمل على استصلاحها.[٢]

ولكن هذه الصورة الوردية قد لا تستمر طوال الحكم الإسلامي للبنغال، فعند حدوث تقصير من أحد الزاميندران في دفع الضرائب، يتم إرسال قوة من الجيش تقوم بتخريب الإقطاع، والقبض على الزاميندران وأسرته وسوقهم سجناء إلى السلطان.[٣]

كما كان للحكام المسلمين في البنغال دور كبير في تشجيع العلماء والشعراء الهنود في بلاطهم، فقد اظهروا اهتماماً كبيراً بعلوم وآداب الهنود، فشجعوا ترجمة المؤلفات السنسكريتية الكبري إلى البنغالية مثل "الرامايانا" و"المهابهارتا" و"البهاجافاتا" وغيرها كثير، وفي فترة مبكرة من الحكم الإسلامي للبنغال ترجم العمل الصوفي السنسكريتي "أمريتكاند" إلى العربية والفارسية، وكان الهدف وراء اهتمام المسلمين بالآداب الهندية فهم المجتمع الهندي لإيجاد نقط للتواصل بين المجتمعين الهندي والإسلامي.

---

[١] عادل محمد نجيب رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلي، ص١٣١.

[٢] Abdu Rahim,Mohammad: OP.Cit.,vol.١ ,p.٣٣٢.

[٣] Gupta, Das J. N. . Bengal in the Sixteenth Century, A. D.,p.٦٥,٦٦,٧٢.

ومن ناحية أخري أظهر الهندوس مشاعر طيبة ومعاملة حسنة تجاه المسلمين، فقد دعم الزامينداران سلاطين البنغال ضد هجمات سلاطين "دهلي"، وقام الزامينداران بتعيين الموظفين المسلمين في خدمتهم، وذلك حرصاً منهم على جعل بلاطاتهم صورة مصغرة من بلاط سلاطين البنغال، فقام زامينداران "نواخالي" باختيار "ميرزا يوسف بارلاس" رئيساً لوزرائه، وقام كل من "شاند راي" و"كيدار راي" بتعيين "سليمان لوهاني" قائداً على جيشهم، كما عمل المسلمون على سفن التجار الهندوس كبحارة.[١]

وقد لفتت هذه العلاقة الطيبة بين المسلمين والهندوس أنظار الرحالة والسفراء البرتغاليين، فقد ذكروا طاعة وانقياد الهندوس لحكام البنغال المسلمين، وذلك لما وجدوه من أمن وحماية على حياتهم وحياة زوجاتهم وأسرهم، هذا فضلاً عن منحهم حرياتهم.[٢]

ومن أهم النتائج المترتبة على هذا التواصل بين الهندوس والمسلمين تأثر الهندوس بالإسلام، فيظهر الأدب البنغالي المعاصر احترام الهندوس للقرآن والصوفية المسلمين بصفة خاصة، فكان البحارة الهنود يستبشرون أن يبدأوا رحلتهم بذكر اسم الله وتلاوة آيات من القرآن للوصول سالمين، كما شاع بين الهندوس تعظيمهم لأضرحة الصوفية المسلمين، وتوافدوا عليها لاستجلاب البركة من أصحابها وسؤالهم الدعاء لهم.

ولقد تأثر المسلمون أيضاً بعادات وتقاليد وديانات المجتمع الهندي في البنغال، فلا يمكن القول أن هذا الاتصال بين المجتمعين على مدار عدة قرون مر دون أن

---

[١] Abdu Rahim,Mohammad. Social and Cultural History of Bengal,vol.١ ,p.٣٣٢, ٣٣٣.

[٢] Campos, J.J.A. History of Portugues in Bengal.Calcutta. ١٩١٩,p.٢٠.

يتأثر المسلمون بالمجتمع الهندي، بالإضافة إلى احتفاظ الهندوس المتحولين للإسلام بعاداتهم وتقاليدهم، وخاصة بين طبقة العامة، وقد ظهر هذا الأمر بصفة خاصة في تأثر الصوفية المسلمين بالصوفية الهندوس وخاصة في ممارسة اليوجا.[١] وهو ما سيتم دراسته في الفصل الرابع بالتفصيل.

الأقليات الأجنبية

الزرادشتيون

وُجد في البنغال فترة الحكم الإسلامي أعداد من الزرادشتيين[٢]، وهم المجوس من أتباع "زرادشت" مؤسس ديانتهم الذي زعم أنه مبعوث من قبل إله الخير والنور، وأنه استمد رسالته من "آهورا مازدا" مباشرة لينقذ العالم من الظلام والشر، ويسوقه إلى الخير والنور، ويطلق على الزرادشتيين أسماء أخرى مثل "غبر"، "مجوس"، "پارس"، ومن أهم الأصول الثلاثة التي نادت بها ديانة "زرادشت": القول الحسن والعمل الحسن والفكر الحسن، ومن أبرز مظاهرها احترام النار باعتبارها مظهراً من مظاهر إله النور، والإبقاء على شعلة النار مضطرمة، وإقامة مراسم خاصة حولها في معابد تُعرف "ببيوت النار"، وحثت أيضاً على العمران والزراعة والرعي واستيطان المدن، واحترام الحيوانات لاسيما الكلب والبقرة، كما حثت على حسن المعاملة مع الناس.[٣]

---

[١] Abdur Rahim, Mohammad. OP.Cit., pp.٣٣٤ - ٣٣٦.

[٢] Abdur Rahim, Mohammad. OP.Cit., p.٣٣٦.

[٣] بويس، م ، : تاريخ الزرادشتية، ليدن ، ١٩٧٥م، ص ٢٧. زيهنر، ر ، : فجر وغسق الزرادشتية ، لندن، ١٩٦١م، ص٤٤.

ولقد دخل الزرادشتيون البنغال كتجار، وكان أول استقرار لهم في الهند في الكَجرات، فقد هاجروا من إيران بعد الفتح العربي لها إلى الكَجرات، ويرجح أن ذلك تم على مرحلتين: المرحلة الأولي بعد معركة "نهاوند" التي هاجر على أثرها كثير من كهنة المجوس خلسةً إلى شواطئ الكَجرات، والهجرة الثانية تمت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وقد أقاموا أولاً في ميناء "ديو" ثم انتقلوا بعد ذلك إلى "سنجان" واستقروا هناك[١]، ومنها انتشروا في العديد من المدن على طول الساحل.

وقد عمل الزرادشتيون بالتجارة، واحتكروا بصفة خاصة تجارة الخمور لتجنب المسلمين والهندوس الاتجار فيها، مما فتح الباب على مصراعيه أمامهم لاحتكار هذه التجارة في الهند، وقد حظوا باستقرار ورخاء تحت حكم البرتغاليين، وكان لهم دور كبير في تنمية التجارة مع الصين.[٢]

البرتغاليون

كان أول ظهور للبرتغاليين في البنغال في عهد السلطان "نصير الدين نصرت شاه"، فوطأت سفنهم موانئ البنغال، وقاموا بأعمال السلب والنهب[٣]، وذلك على

---

[١] داؤد الحلبي: كتاب الفنديداد ، الموصل، مطبعة الاتحاد الجديدية، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م ، ص ٣.

[٢] Russel R.V. . The Tribes and Caste of The Central Provinces of India, Delhi, ١٩٧٥, p.٢٩٢,٢٩٣.

[٣] Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslims of Bengal.. P.٢٢٤.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India , Vol. III,p.٢٧٢.

الرغم من دخولهم في معاهدة سلام مع السلطان سنة (٩٢٨هـ / ١٥٢١م) ، وافق بموجبها على فتح باب التجارة معهم على ألا يعتدوا على الموانئ البنغالية.[١]

وقد استقرت أعدادا من البرتغاليين في الموانئ البنغالية، ومن أهم الموانئ التي استقروا بها الميناء العظيم والمدينة المزدهرة "سدكَاون" في مقاطعة "هوجلي"، وهو أول ميناء يستقرون به في البنغال، وهو واحد من أول ثلاث قواعد للبرتغاليين في مقاطعة "هوجلي".

أما عن وضع البرتغاليين في هذه الفترة فيمدنا المؤرخ البرتغالي "كاستانهيدا" بمعلومات قيمة عنه، فيحدثنا عن نجاح سفارة "مارتين ألفونسو" في الحصول من إذن من سلطان البنغال في تأجير مبني للتجارة في "شيتاجونج" يكون رئيسه "نينو فيرناندیز فريري" الذي منحه عدد كبير من المنازل، في الوقت الذي أقام المسلمون والهندوس في دور للتجارة مؤجرة لهم، ومنحه سلطة واسعة على الأراضي التي حصل عليها، كما منحه منزل أصغر للتجارة في "سدكَاون" و"لجواو كوريا"، وقد أثار هذا الأمر إنزعاج التجار الآخرين والأهالي، نظراً للسلطة الكبيرة الممنوحة لرئيس البرتغاليين في "شيتاجونج"، وقام البرتغاليون ببناء مصنع لهم في "سدكَاون"، وبمرور الوقت تزايدت أعدادهم وبنوا الكثير من المنازل، واختزنوا بها كثيراً من الأسلحة من المدافع والبنادق.

وقد بنى البرتغاليون ميناء لهم في "هوجلي" اطلقوا عليه اسم "بورتو بيكينو"، وتوافدت إليه سفنهم بالتجارة، وبازدهار ميناء "هوجلي" أفل ميناء "سدكَاون" وخربت أسواقه، وقد تزايد النفوذ البرتغالي في البنغال في الفترة (٩٧٦هـ : ٩٨١هـ /

---

[١] Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultante .P.١٦٢.

١٥٦٨ : ١٥٧٣م)، وهي فترة تبعية البنغال لملوك الأفغان اللوديين من أسرة "سليمان قراني".[١]

عادات وتقاليد المجتمع البنغالي

عادات المأكل

كان لتوفر شبكة الأنهار الضخمة في البنغال، ولكونها بلد زراعي في المقام الأول، أن احتل السمك والخضروات رأس قائمة الأطعمة البنغالية، ولا يوجد دليل ينفي إتباع المسلمين في البنغال لنفس العادات الغذائية في تناول السمك والخضروات، بل مما يؤكد ذلك وجود طائفة من المسلمين تسمي "كباري" تعمل في صيد الأسماك.[٢] ويعد السمك والأرز وزيت المسترد الطعام الرئيسي للبنغاليين على اختلاف طبقاتهم.[٣]

كما تضمنت قائمة الطعام البنغالي اللحوم على اختلاف أنواعها من اللحم البقري ولحم الضأن والدجاج والبط، ويقومون بإعدادها بإضافة التوابل، وقد ذكر الرحالة الصينيون تناول البنغاليون كلاً من اللحوم المدخنة والمشوية.[٤] ولكنهم ذكروا امتناع الهندوس عن أكل لحوم الأبقار، ومن أبرز عاداتهم في تناول الطعام أن لا يأكل النساء والرجال معاً.[٥]

---

[١] Campos, J.J.A. History of Portugues in Bengal.,pp.٤٦ – ٤٨.

[٢] Abdul, Karim. Social History of The Muslim in Bengal,p.١٩١.

[٣] Salim, Ghulam Husain. The Riyazu S Salatin, p.٢١.

[٤] Abdul, Karim. OP.Cit.,p.١٩٠.

[٥] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , p.٣٥٠.

ومن عادات الطبقة العليا تقديم ماء الورد المحلى والعسل بعد الوجبات، كما تقدم الفاكهة بعد الطعام، وقد اعتاد المسلمون في البنغال تناول الفواكهة المتعددة المتاحة في البلد بعد الوجبات، والتي من أهمها الموز وقصب السكر والكاكايا والرمان.

وتناول الخمور شائع في الطبقة العليا، ويتناولها عامة الناس في الاحتفالات، وقد توفرت في البنغال في ذلك الوقت أربعة أنواع من الخمور: النوع الأول يستخرج من شجرة جوز الهند، والثاني من الأرز، والثالث من نبات "كاجانج"، والرابع من بذور "التونج".[١]

وهناك قيود كثيرة على الطعام لدي الهندوس، لأنهم يعتقدون أن الطعام يؤثر مادياً سواء بالخير والشر على صحة الإنسان وقوته، وأيضاً على طبيعته وشخصيته، وعلى هذا فإن مواد الأطعمة كانت تصنف تحت ثلاثة أقسام هي: الساتفيكا والراجاسا والتاماسا، فالطعام الحلو يأتي في المرتبة الأولي لأنه مناسب للذوق، ويعتقدون أنه يطيل العمر والصحة ويقوي الذاكرة والروح، أما الطعام المالح فيأتى في المرتبة الثانية لأنه يثير العطش ويجعل الإنسان مهموماً، وتأتى في المرتبة الثالثة الطعام الفاسد وبواقي الطعام من شخص آخر لأنها تجعل الإنسان مكتئباً، وهم يحرمون اللحوم والمشويات، ويعتبرون آكلها من الملوثين.

ولا يقبل البراهمي المتدين الماء والطعام المطبوخ إلا من طبقات معينة مسموح لها المساس بطعامه، وفي البنغال يستطيع البراهمي أن يتناول ماءه وطعامه

---

[١] Abdul, Karim. OP.Cit.,p.١٩١.

من قسمين فقط من الشودرا، وهما: "السات شودرا" و"الجلاشارنيا"، ولا يتناولها من الأقسام الأخري.[١]

عادات الملبس

كان لمناخ البنغال تأثير كبير على طعام وملابس ومنازل الشعب البنغالي، فكان لكثرة سقوط الأمطار والفيضانات أثر كبير علي ملابس ومنازل الشعب البنغالي، فكان لبس "الدهوتي" مناسباً جداً لبلد تغمره المياه أكثر من نصف السنة.[٢]

وترتدي الطبقة العليا ثياب قطنية رقيقة بيضاء تصل حتي كاحل القدم، ويلبسون فوقها وشاح من الحرير، ويتمنطقون بحزام من القماش، يضعون فيه خناجر مزينة بالذهب والفضة، ويلبسون على رؤوسهم عمامات قطنية، ويتزينون بخواتم من الجواهر الغالية[٣] والمعادن الثمينة، كما تزينوا بالحلقان والسلاسل.[٤]

وترتدي الطبقة الدنيا قمصان بيضاء قصيرة تصل إلى نصف الفخذ، ويلبسون على رؤوسهم عمامات بسيطة، تطوى ثلاث أو أربع مرات.[٥] وتحت القمصان يرتدون سروال أو وشاح، وكانوا يقصون شعرهم ويطلقون لحاهم، وارتدى الصوفية المسلمون في البنغال ملابس سوداء.

---

[١] جارات، ج.ت. : تراث الهند، ص١٠٠، ١٠١.

[٢] Abdu Rahim,Mohammad. Social and Cultural History of Bengal,vol.١ ,pp.٣٠ - ٣٢.

[٣] Barbosa, Duarte. The Book of Duarte Barbosa, p.١٤٨.

[٤] Abdu Rahim,Mohammad. OP.Cit.,vol.١ ,p.٣٥٧.

[٥] Barbosa, Duarte. OP.Cit., p.١٤٨.

هذا وقد لا تتمكن كل طبقات المجتمع من الحصول على هذه الملابس، فالفلاحين والعمال يكتفون بوشاح يلف حول الوسط، وقد لا ينتعلون أحذية في أرجلهم.[١] أما أهل المدن والطبقات المتوسطة والعليا فقد ارتدوا نعالاً جيدة اختلفت باختلاف طبقاتهم، فارتدي بعضهم أحذية كما ارتدوا الصنادل، وقد تميزت جميعها بجودة التطريز وطلائها بالذهب.[٢]

ويحلق الشيعة في البنغال شعورهم ويطلقون لحاهم حتي صدورهم، ويرتدون على رؤوسهم "توبي" له عشرة جوانب، و"إيجار" يماثل "البيجاما" يربط حول الوسط.[٣]

وترتدي النساء الساري وهو قطعة طويلة من القماش تلف حول الخصر عدة مرات ثم تطرح على الكتف، ويلبس تحته قميص قصير يصنع من القطن أو الحرير طبقاً للوضع المادي، وقد حظي الساري البنغالي القطني[٤] بشهرة واسعة، ويتميز بألوانه وزخرفته وتعدد تصميماته وأشكاله، وتكون حوافه عادة بارزة، وتطبع بأشكال مختلفة من الورود وغيرها، ويعرف الساري القطني البنغالي باسم "تانت".[٥]

---

[١] Abdul, Karim. Social History of The Muslim in Bengal,p.١٩٢,١٩٣.

[٢] Diwakar R.R. . Bihar through the Ages,p.٤٦٣.

[٣] Gupta, Das J. N. . Bengal in the Sixteenth Century, A. D. ,p.٩١.

[٤] انظر الملحق شكل (٤)

[٥] http://www.best-bengali-sarees-design.htm

أما الساري الحريري فكان يصنع للأثرياء بإتقان شديد، ويزين بخيوط الذهب والفضة واللآلئ والأحجار النفيسة.[١] واشتهرت "مالده" و"بيربهوم" بصناعته بصفة خاصة، ومن أهم أنواع الساري البنغالي الحريري "الزاردوسي" و"الباشمينا"[٢] وغيرها.[٣]

ويمكن لبس الساري بطرق مختلفة حيث تعتمد طريقة لبسه على الولاية التي تنتمي إليها المرأة، إضافة إلى الديانة التي تتبعها، والطبقة الاجتماعية المنحدرة منها وعمرها. وقد اختصت المرأة البنغالية بأسلوب مميز للف الساري يختلف عن غالبية الطرق الهندية للفه، فبعد لفه حول الخصر عدة لفات يطرح على الكتف الأيمن من الخلف للأمام، بينما غالبية سيدات الهند يطرحنه علي الكتف الأيسر من الأمام للخلف، وبإمكان المرأة أن تحافظ على الساري لفترة طويلة من الزمان؛ لكونه لا يعتمد في تصميماته على مقاسات محددة، وكان لكل مناسبة الساري الخاص بها.

أما عن ملابس المرأة البنغالية داخل المنزل فهي ـ مثل سائر أقاليم الهند في ذلك الوقت ـ الصديرية والتنورة الطويلة والسروال الواسع الذيل، وقد تأثرت المرأة المسلمة في الهند بهذه الملابس الهندية واستعارتها مع بعض التصريف، كما تأثرن بطرقهن في الزينة، حتي أن كثير من أسماء الزينة الهندية دخلت اللغة الأردية مثل "أرجاچا" وهو العطر، و"كچيل" وهو الكحل، و"ميسي" معجون الزينة،

---

[١] العولمة تقضي على أزياء الهند التقليدية في ظل دهشة الكبار، شبكة النبأ المعلوماتية – الثلاثاء ٢٠٠٣/٨/٥ – ٦/ جمادى الثانية /١٤٢٤م.

http://www.annabaa.org/nbanews.htm

[٢] انظر الملحق شكلى (٥)، (٦)

[٣] http://www.best-bengali-sarees-design.htm

و"جهازا" المعجون الأحمر للوجنتين، وغيرها، كما تأثرن بطريقة تصفيف الشعر وهي جمعه في ضفيرة خلف الرأس.[١]

وقد اهتمت المرأة البنغالية بالزينة فارتدت الحلقان الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة، كما تزينت بالقلادات والخلاخيل والخواتم، وزينت جيدها بسلاسل من الذهب، وكانت تربط شعرها بعقدة من الخلف، بينما تزينت النساء من الطبقات الفقيرة بحلي معدنية أو بحلي من الأصداف والمحار.[٢]

وعادة ما تتحلى المرأة المتزوجة بوضع علامة حمراء تسمى "سيندور" على جبهتها، يضعها زوجها في احتفال العرس، وغالبية الفتيات يضعن دائرة ذات ألوان مختلفة على جباههن تسمى "بيندي".[٣]

الاحتفالات الاجتماعية

أظهرت الاحتفالات الاجتماعية وجود اتصال كبير بين المسلمين والهندوس في البنغال، فقد دعى الهندوس المسلمين إلى مشاركتهم في احتفالاتهم، كما دعى المسلمون الهندوس إلى مشاركتهم في احتفالاتهم، من ذلك مشاركة تسعمائة من المغنيين المسلمين في حفلة زواج الراجا "لاكشيمندار بن شاند سايدجار"، هذا وقد حرصت الطبقة العليا من الهندوس على حضور المناسبات الاجتماعية للمسلمين من زواج ومولد الطفل.[٤]

---

[١] محمد عمر: المجتمع الهندي. الإسلامي. تبادل ثقافي، ترجمة أورنك زيب الأعظمي، ثقافة الهند، مج ٥٤، ع٣، ٤، ٢٠٠٣م، ص١٠٥، ١٠٦.

[٢] Abdul, Karim. Social History of The Muslim in Bengal,p.١٩٢.

[٣] http://en.wikipedia.org/wiki/ Gujarati_ people

[٤] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , p.٣٣٣,٣٣٤.

الاحتفال بالزواج

تبدأ خطوات الزواج باجتماع أهل العروس على اختيار العريس المناسب[١]، وبعد اتفاق عائلتي العريس والعروس على الزواج يتم إقامة احتفال يسمي "تيلاك" أو "ناجني"، وفي هذا الاحتفال يتم تحديد موعد الزفاف "لاجان"، وبعده يتم التحضير للزواج، وقبل موعد الزفاف "لاجان" يقام احتفال يسمي في الهند "ساشاق"، ويسمي في البنغال "هاليد" أو احتفال الكركم حيث يدهن جسد العروس بالكركم، كما تقوم العروس برسم الحنة في أصابعها، وفي هذا الاحتفال تقدم العروس هدايا الزواج المتنوعة للمدعويين، والزواج في الطبقة العليا يكون مصاحباً باحتفالات ضخمة تستمر لسبعة أشهر.

وبهذه المناسبة كان يتم تزيين منزل العروسين، حتي المنازل المجاورة لهما تشاركهما في الاحتفال والزينة، ويقام الاحتفال في منزل أهل العروسة في منطقة مفتوحة يتم تجهيزها بإقامة سرادق مرتفع مغطى، ويتم عمل بوابات من أوراق شجر الموز، وتزين البوابات والسرادقات بالورود والأغصان، وتغنى أغاني الأفراح على أنغام الآلات الموسيقية المتعددة في منازل أهل العروسين، وتتجمع الفتيات والسيدات من أقارب العروسين وجيرانهما في منزل العروس وسط مظاهر الفرح والمرح.

وكان العريس يتقدم في زفة من الموسيقي إلى منزل العروس حيث يستقبله والدها وأقاربها على مدخل السرادق، وتقدم أوراق التنبول والمشروبات، ويقوم

---

[١] Klass,Morton. Marriage Rules in Bengal. American Anthropologist. New Series. Vol. ٦٨, No. ٤ (Aug., ١٩٦٦), p. ٩٥٥.

القاضي أو الملا بعقد النكاح، وبعد ذلك يتمكن العريس من رؤية عروسه، وتقام وليمة للمدعويين.

ولم تختلف احتفالات الهندوس بالزواج في البنغال عن احتفالات المسلمين كثيراً باستثناء المظهر، فيحفل العرس الهندوسي بكثير من المراسم، بداية تمر حنة العروس بكثير من الشعائر والمراسم، كما يوجد اختلافات في مراسم الزواج، فالعروس المسلمة لا تحضر عقد النكاح، ويؤخذ الوكيل موافقتها، ولكن العروس الهندوسية تصطحب إلى "المندبة" حيث يقام الاحتفال، وتجلس على كرسي خشبي، ثم تقوم بالدوران حول العريس سبع مرات، وبعدها يقوم الكاهن البراهمي بمراسم الزواج، ويضع العريس إكليل الورد في عنق العروس.

ومن عادات الزفاف في البنغال أن يقوم العروس والعريس بلعب "ديسي" DICE في مكان يسمي "بسار جهار"، وهي حجرة مزينة بالزهور الجميلة يقضى فيها العروسان ليلتهما الأولى، وهذه العادة منتشرة أيضاً بين المسلمين، ويقوم العريس في "البسار جهار" بإلقاء النكات وإثارة المرح مع العروس والحديثي العهد بالزواج من الموجودين.[١]

الاحتفال بمولد الطفل

يأخذ الاحتفال بمولد الطفل اهتماماً كبيراً في المجتمع خاصة إذا كان ذكراً، ويمدنا الأدب البنغالي بصورة عن مظاهر احتفال الأسرة البنغالية بمولد الطفل، فيقوم الوالدين بعمل احتفال كبير في المنزل حيث تعزف الموسيقى ويرقص المدعوون، وتعم الفرحة أرجاء المنزل، ويقوم الوالدان بتوزيع الهدايا في هذه

[١] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , p.٢٨٨, ٢٩٠.

المناسبة، كما يقومان بتوزيع الصدقات على الفقراء، فعند ولادة "سيف الملك" قام والده بتوزيع الأموال والملابس على الفقراء، ثم استدعى المنجمين ليستطلعوا طالع الطفل، وقد شاعت هذه العادة بين المسلمين في ذلك الوقت، وعادة يمتد الاحتفال بمولد الطفل إلى ستة أو سبعة أيام، ويسمي هذا الاحتفال في البنغال "شهاتي".

ويتم تسمية الطفل في اليوم الثاني من مولده، فيقوم والده أو أحد الأقارب المقربين باستدعاء الكاهن أو المولِّي الذي يقوم بتقديم الكتاب أو القرآن إلى الوالد الذي يقوم بفتحه على أي صفحة، ويختار المولي الكلمة الأول منها، ويقوم بتحويل معناها إلى اسم للطفل، وهذه العادة منتشرة بين المسلمين في البنغال حتي الآن، ويفسر هذا الأمر انتشار الأسماء العربية بين المسلمين بها.

ومن أهم مظاهر الاحتفال بمولد الطفل "العقيقة"، وفي هذا اليوم يتم الحلاقة للطفل، وإعلان اسمه بطريقة رسمية، ويذبح خروف أو جدي، وإذا كان ولداً يتم ذبح خروفين، ويوزع اللحم على الأقارب والفقراء، وتقام الوليمة، ويقوم الوالدان بالترحيب بالضيوف.

وعند إتمام الصبي أربعة أعوام وأربعة شهور وأربعة أيام يتم الاحتفال بختانه، ويسمى هذا الاحتفال "بسم الله خاني"، ويتم ختان الصبي بعد الصلاة في المسجد حيث يقوم الإمام بالعملية عقب نطقه بالبسملة، وفي هذه المناسبة يقام احتفال، وتقدم فيه الهدايا.[١]

عادات الدفن

[١] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal, pp.٢٨٠ - ٢٨٢.

قام المسلمون في البنغال بدفن موتاهم في المقابر، ويستدل على ذلك من شواهد القبور العديدة التي تم العثور عليها، من ذلك شاهد قبر المجاهد "غازي إبراهيم خان" في "راج محل" المؤرخ بسنة (٩٦٤هـ / ١٥٥٤م)، وشاهد قبر "بابا صالح" في "بندر" بالقرب من "تراينجنج" بمقاطعة ""دهاكا"، وشاهد قبر مقبرة "بابا آدم كشميري" في "آتيا" بمقاطعة "ميمين سنج".

وقد أنشئت أضرحة للسلاطين وكبار الأمراء والصوفية والعلماء، ومن أهم الأضرحة التي تم العثور عليها لموظفي البلاط ضريح "بهرام سقا" في مدينة "بوردوان" بالبنغال الغربية، أنشأ سنة (٩٧٠هـ / ١٥٦٢م)، وقد غصت البنغال بأضرحة الصوفية، ومن أهم هذه الأضرحة ضريح "نور قطب عالم" في "بندوه"، وضريح "شاه عطا" في "ديويكوت" بمقاطعة "دناجبور"، وضريح "شاه إسماعيل غازي" في قرية "مندران" بمقاطعة "هوجلي".[١]

وقد تأثر المسلمون بالأبهة التى كانت الطبقة العليا من الهنود يقيمونها لموتاهم وخاصة لكبرائهم، فيذكر "ابن بطوطة" "وعادة أهل الهند أن يرتبوا لأمواتهم ترتيباً كترتيبهم بقيد الحياة ويؤتى بالفيلة والخيل فتربط عند باب التربة وهى مزينة"، وقد قام بذلك ابن بطوطة عند تجهيزه لمقبرة ابنته الصغيرة، كما رتب غير ذلك أربعمائة وستين من قراء القرآن والطلبة والمعيدين والمدرسين والصوفية والإمام والمؤذنين والحاشية الذين يقومون بالخدمة، وبعد الفراغ من قراءة القرآن والدعاء للمتوفي

[١] محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال، ص١٤٦، ٢٤١، ٢٣٦، ٢١٥، ٢٠١، ٢٩٥.

يرش ماء الورد على المعزيين، ثم تقدم أقداح شراب النبات وأوراق التنبول لهم.[١] ويتلقي أهل المتوفي العزاء ثلاثة أيام بعد الوفاة، وقد جرت العادة في البنغال عند وفاة السلطان أن يتلقي ابنه العزاء ثلاثة أيام، وبعدها يجلس على العرش ويتقبل التهاني من الأمراء.[٢]

ومن عادتهم الخروج إلى قبر الميت صبيحة اليوم الثالث من موته، ويفرشون جوانب القبر بالبسط وثياب الحرير، ويجعلون على القبر الزهور المختلفة الأنواع، ولا تنقطع هذه العادة طوال السنة، وخصوصاً الفل والياسمين، ويجعلون أغصان النارنج والليمون وثمارهما على القبر، ويجتمع الناس ويختمون القرآن، ثم يوزعون الصدقات.

وكان الهنود يقيمون أضرحة لموتاهم، وهي عبارة عن بيوت لها أسقف محكمة ونوافذ ينفذ منها الريح، وظل الحال على ذلك حتي شرع لهم "نارين" إحراق جثث موتاهم حتي لا يبقى منها شيء، وقد هذب الإسلام في الهند من التعامل مع الميت فلا تحرق جثته، وإنما يدفن في مقبرة، وتوضع الزهور فوق قبره.[٣] ولكن حرق الهنود لجثمان موتاهم ظل هو السائد في أغلب الهند، فتأجج النار لحرقه، وكثيرا ما تصر زوجته على إحراق نفسها معه، ويرمي برماد المحترقين في نهر الجانج.[٤]

أما في البنغال فترة الحكم الإسلامي فقد جرت العادة لدي الهنود على وضع جثمان المتوفي على طوافة وإطلاقه للإبحار في نهر

---

[١] ابن بطوطة: الرحلة، ج٢، ص٧٧، ٨٦.

[٢] Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, p.١٠٣.

[٣] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي ، ص٣٨٣، ٣٨٤.

[٤] ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٢، ص١٤.

الجانج، فعند وفاة "لاكشميندار" قاموا بوضع جثمانه على طوافة أبحرت في النهر، وقامت زوجته بمصاحبته.[١] ويستدل من ذلك على عدم إحراقهم لجثمان موتاهم كما هي العادة في أجزاء كثيرة بالهند.

الأعياد الدينية والقومية

أولاً : أعياد واحتفالات المسلمين في البنغال

أظهر المسلمون في البنغال اهتماماً كبيراً للاحتفال بالأعياد الإسلامية، وخاصة عيدي الفطر والأضحي، وقد اهتم سلاطين البنغال بالاحتفال بالأعياد والمناسبات الإسلامية، فيذكر صاحب "طبقات ناصري" اهتمام السلاطين بشهر رمضان وحرصهم على انتخاب الدعاة لوعظ الناس في هذه المناسبة العظيمة، ويعينون الأئمة الذين يؤمون الناس في صلاة العيدين الفطر والأضحي، ويتم الاحتفال بالعيد في ساحة خارج المدينة تسمي "عيدجاه".

وأمدنا "ميرزا ناثان" في كتابه "بهارستاني يبي" بصورة عن احتفال المسلمين بشهر رمضان في البنغال، فيذكر أن المسلمين يقومون بالتزاور يومياً خلال الشهر الكريم، وفي آخر يوم يقوم الأمراء بالاجتماع في قصر أحد الأمراء الكبار، ويتضح

---

[١] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , p.٣٥٩,٣٦٠.

من ذلك أنهم كانوا يقضون وقتهم في هذا الشهر الكريم في الزيارات وتقديم الطعام.

أما في الأعياد فيقوم المسلمون رجالاً ونساءاً وأطفالاً بارتداء ملابسهم الجديدة، ويخرجون إلى "العيدجاه" حيث يتبادلون الهدايا، وتوزع الصدقات على الفقراء، وفي عيد الأضحي يتجمعون أيضاً في "العيدجاه"، ويقومون بالتكبير، وبعد صلاة العيد يتبادل الأهل والأصدقاء التهاني، ثم يقومون بذبح الأضاحي من الأبقار والخراف والماعز والجمال، ويوزع اللحم على الفقراء.

ولقد أظهر المسلمون في البنغال اهتماما عظيما للاحتفال بالمولد النبوي الشريف في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وجرت العادة على تقديم السلاطين الهدايا للعلماء والسادات في هذه المناسبة، واحتفل المسلمون في البنغال بليلة النصف من شعبان، ويسمون هذا الاحتفال "شابي برات"، فيؤدي الرجال والنساء الصلوات طوال الليل في جميع المساجد وفي المنازل، ويقومون بتلاوة القرآن، ويشارك حكام وسلاطين البنغال في هذا الاحتفال.[١]

واحتفل المسلمون في البنغال وخاصة الشيعة بالتاسع والعاشر من محرم، ومن الثابت وجود أعداد من الشيعة في البنغال، فقد كشفت الآثار عن مسجد مقام في "إمام باره" في حارة "جك آنبيا" في "إنغلش بازار" بمقاطعة "مالده"، وذكر في نقوشه أن بانيه هو "مجلس المجالس مجلس أخيار" سنة (٩١٣هـ / ١٥٠٨م)، وورد في نقش آخر كتب على باب قلعة "غرجريبا" بالقرب من "شير بور" في مقاطعة "ميمنسنغ" ذكر أسماء الرسول (صلي الله عليه وسلم) والسيدة فاطمة الزهراء

---

[١] Abdul, Karim. Social History of The Muslim in Bengal,pp.٢٧٤- ٢٧٨.

والحسن والحسين والأئمة الاثنا عشر، مما يدل على وجود أعداد من الشيعة الاثنا عشرية بالبنغال، وقد أرخ هذا النقش بتاريخ الرابع من محرم ٨٩٣هـ / عشرين من كانون الأول .ديسمبر ١٤٨٧م، وذكر بنائه في عهد السلطان "أبو المظفر فيروز شاه"، مما يدل على إطلاق السلطان للشيعة الحرية في ممارسة شعائرهم ونشر دعوتهم، حتي سجلوا أسماء أئمتهم على باب احدى القلاع.[١]

وقد ورد ذكر "إمام باره" الخاص باحتفالات الشيعة في الأدب البنغالي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فيذكر الشاعر "ميكندرام" أن المسلمين أقاموا في نهاية الناحية الغربية من أماكن إقامتهم "حسين باتي" أو "إمام باره" وهو مكان مخصص للاحتفال بمحرم، ويقومون في هذه المناسبة بتزيين "الإمام باره" حيث يجتمعون به ويتبادلون التهاني، ويرفعون الأعلام الخضراء، ويضربون الطبول، وفي هذين اليومين يلتزمون الصوم، ويجتمعون ليقصوا قصة مقتل الحسين (رضي الله عنه)، ويقوم البعض بسل سيوفهم وتقطيع وجرح أنفسهم، ولذلك يجري الدم من أماكن عديدة، ويقطعون ملابسهم، بينما يحتفل المسلمون السنة بالمحرم احتفالاً هادئاً، ولا يشارك الشيعة احتفالاتهم إلا عامة الناس من السنة.

ومن احتفالات المسلمين في البنغال أيضاً "بيرا" ، وهو احتفال خاص "بخواجه خضر" أو النبي "إلياس" (عليه السلام) الذي يعتقدون في حمايته للماء كله، ومن مظاهر الاحتفال بهذا العيد قيامهم بصنع نماذج لقوارب من خشب

[١] محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال، ص ١٩٦، ١٩٧، ٢٤١.

البامبو وأوراق الموز يبحرونها في الماء، كما يقومون بعمل نماذج ورقية للمساجد والمنازل، ويحتفل به في آخر ثلاثاء من الشهر البنغالي بهادرا.[١]

وقد اهتم البنغاليون كثيراً بالموالد التي تقام للاحتفال بمولد أحد كبار مشايخ الصوفية، وتسمى "العرس"، ومن أهمها العرس المقام لأحد أقطاب الصوفية في البنغال الشيخ "قطب العالم"، ويقام في ضريحه العظيم بمدينة "بندوه"، وبهذه المناسبة يقيم أهل "بندوه" حفلة دينية كل عام، ويقدمون الطعام لزوار الضريح، ويزوره المسلمون والهندوس من كل مكان بالهند.[٢]

ثانياً: أعياد الهندوس في البنغال

كان لتنوع الديانات والأقوام والشعوب في البنغال أن تعددت الأعياد والاحتفالات بها، وهذه الاحتفالات بعضها ديني وبعضها ثقافي وبعضها ارتبط بالزراعة ودورة الفصول والمواسم مثل موسم بذر الحبوب وموسم الحصاد، ولا تقتصر المشاركة في الاحتفالات على أفراد جماعة بعينها، إنما شارك فيها أفراد عديدون من طوائف أخري، فشارك الهندوس المسلمين في أعيادهم كما شارك المسلمون الهندوس احتفالاتهم بالأعياد الهندوسية الدينية والموسمية، والتي من أهمها عيد الألوان وعيد الأنوار ودورجا بوجا وغيرها، وبذلك أدت الأعياد والمهرجانات دوراً عظيماً في تقوية الشعور الوطني والانسجام الطائفي، وبالإضافة إلى احتفال البنغال بجميع الأعياد والمهرجانات الهندوسية التي تحتفل بها الهند كلها، تميزت البنغال باحتفالاتها الخاصة بها التي لا يحتفل بها في بقية شبه القارة الهندية.

---

[١] Abdul, Karim. Social History of The Muslim in Bengal,pp.٢٧٨- ٢٨٠.

[٢] محمد يوسف صديق: المرجع نفسه، ص٤٠.

عد الاحتفال بعيد "دورجا" أو "دورجا بوجا"[١] وهو من أهم وأكبر الأعياد الهندوسية في البنغال، ويحتفل به في شهر أكتوبر من كل عام، و"دورجا" هي إلهة الحرب وزوجة الإله "شيفا"، وقد منحتها الآلهة الهندوسية شيئاً من قوتها لتحارب قوي الشر، وهيئتها كما تصورها التماثيل مخيفة لأعدائها لا لعبادها، فيجسدونها تركب أسد وأحياناً نمر، ولها عشرة سواعد وأحياناً ثمانية، وتحمل على كل ساعد سلاحاً مختلفاً، وهذه الأسلحة كلها منحتها إياها الآلهة لمحاربة قوي الشر، ويحتفل الهندوس بهذا العيد تمجيداً لبطولاتها، ولكن الاحتفال بها في البنغال يفوق غيرها من الولايات الهندية.

ويتبادل الناس التهاني والهدايا والتحف في هذا العيد ، ويشترون ملابس جديدة، وتملأ دكاكين الثياب بالملابس الفاخرة الأنيقة النسائية والرجالية، وتقام الخيام هنا وهناك، ويقوم الناس بعبادة الإلهة "دورجا" تسعة أيام، وخلال هذه الأيام يصومون ويتصدقون على الفقراء، وتبلغ الاحتفالات أوجهها في اليوم العاشر "ماهادا شامي"، وفي هذا اليوم يحملون صور "دورجا" في العربات المزينة، ويلقونها في نهر "هوجلي".

وبعد الاحتفال بعيد "دورجا" بستة عشر يوماً يحتفل البنغاليون بعيد "كالي" الإلهة السوداء التي تعبد كأم تدفع الشر عن أولادها بمحاربتها لقوي الشر، ولكنهم يصورونها بصورة مخيفة بلسانها الأحمر الطويل المنسدل، وعنقها المزين بعقد من الرؤوس المقطوعة، وتحمل في أيديها الأربعة سيفاً ومجناً وساعد مقطوع وأحبولة، وتقف على صدر زوجها "شيفا" معلنة انتصارها عليه، وتبدأ مراسم العبادة "بوجا"

---

[١] انظر الملحق شكل (٧)

في منتصف الليل، فتعج معابدها بالعبَّاد، ويدق الجرس، وتضاء كافة البيوت بالمصابيح، ولا ينام الناس في هذه الليلة، ويقوم الشباب بالرقص والغناء.[١]

واحتفل البنغاليون بعيد الربيع المسمي "سرسواتي بوجا"، وهو من المناسبات الكبري لديهم، ويقومون في هذا اليوم بعبادة وتمجيد الإلهة "سرسواتي" إلهة العلوم والفنون وخاصة الموسيقي، وهي تصور وتنحت على الأيقونات والتماثيل في صورة امرأة بارعة الحسن، تحمل على رأسها الهلال، وتأخذ الفلوت على حافة شفتيها، وطبقاً لنصوص الفيدا ينسب الهندوس اختراع اللغة السنسكريتية إليها، ولذلك يقوم الشعراء والفنانون والموسيقيون بتمجيدها، فيضعون أمام صورتها إنتاجهم الفكري ودواوينهم وآلاتهم الموسيقية، ويسألونها التوفيق والمباركة في أعمالهم، ولا تكتمل مراسم العبادة إلا بتقديم أطواق من الأزهار المتنوعة الألوان إلى صورتها، وطبقاً لعادتهم تلبس الفتيات في هذا اليوم ساري أصفر، كما يلبس الرجال ملابس صفراء، ويحتفلون بهذا العيد وسط مظاهر الفرح، وتعزف الموسيقي، وتنشد الأناشيد الدينية، ويقوم بمراسم العبادة "البوجا" أحد رجال الدين "الباندیت"، وبعد إتمام المراسم توزع الحلوي التي قدموها للإلهة على الحاضرين، ثم يحملون تماثيلها في موكب عظيم يسير نحو النهر حيث يلقونها فيه، ويتبادلون بعد ذلك التهاني والهدايا، ومن الجدير بالذكر أن "سورسواتي" لا تقام لها معابد وإنما تعبد في البيوت.[٢]

---

[١] سعيد الرحمن: الأعياد والمهرجانات في ولاية البنغال الغربية، ثقافة الهند، مج ٥٦، ع١، ٢٠٠٥م، ص ص٢٢٧: ٢٣٢، ٢٢٩.

[٢] سعيد الرحمن: الأعياد والمهرجانات في ولاية البنغال الغربية ، ص٢٣١، ٢٣٢.

واحتفل البنغاليون بعامهم الجديد في اليوم الثالث عشر أو الرابع عشر من شهر أبريل من كل عام، وسمى هذا اليوم "بويلا بويشاك"، ويعني اليوم الأول من شهر بويشاك، واحتفالاً باستقبال العام الجديد يقومون بتزيين بيوتهم ودكاكينهم بعقود الأزهار المختلفة الألوان وبثمار الموز الخضراء، ويعلقون أوراق المانجو في خيوط بأبواب البيوت، وتزين النساء أرضية الغرف بدقيق الأرز وترش عليه ألواناً جافة زاهية.

ومن مظاهر احتفالهم بهذا اليوم قيامهم بالاغتسال قبيل الفجر، وإرتدائهم ثياباً بيضاء جديدة، ويخرجون جماعات في الشوارع مصطحبين الآلات الموسيقية ويغنون ويرقصون، ويقومون بإعداد الأطعمة الشهية والحلويات، ويعبدون الإلهة "لاكشمي" وهي إلهة الثراء والرخاء ومعها الإلهة "جنيش" التي يحملون صورها إلى المعابد ويتبركون بها.

واحتفل في البنغال بعيد "بورنيما" أو "دول ياترا"، ويسمي في سائر الهند عيد "هولي" أو عيد الألوان، ويكون في نهاية شهر فبراير وبداية شهر مارس، ويقوم الناس في هذا الاحتفال باستخدام الألوان الجافة وألوان الماء لتلوين وجوههم وملابسهم وكل شيء حولهم، كما يرشون الألوان على أصدقائهم وأقاربهم كتعبير عن الحب والصداقة، وتمتلئ الشوارع بالشباب والفتيات الذين يملأون الدنيا بالرقص والغناء المصاحب بدق الطبول، مما يزيد من بهجة الاحتفال، ويشارك في هذا العيد النساء والرجال والفتيات والشباب من مختلف الطبقات والديانات، مما يشعرهم بالمساواة وذوبان الفوارق الطبقية بينهم، وارتبط هذا العيد بالعديد من الأساطير، منها ارتباطه بذكرى غلبة الإله "كريشنا" على قوى الشر المتمثلة في "بوتانا"، ولذلك يعبد "كريشنا" خلال أيام الاحتفال.

واحتفل البنغاليون بمهرجان "باوسملا" في بداية فصل الشتاء، و"باوسملا" شهر بنغالي يكون في نهاية شهر يناير وبداية شهر فبراير، ويجتمع في هذا الاحتفال عدد كبير من المغنيين المتجولين من الهندوس والمسلمين المسمين "باؤول"، وتكونت من طائفة "الفيشناويين" الهندوس، وطائفة من الصوفية المسلمين الذين يقومون بالتجول في القري والبوادي ينشدون أشعار الصوفية ويتسولون من الناس، وتضمنت أناشيدهم الملحمات الهندوسية والإسلامية، وبطولات الأسلاف من كلتا الديانتين، وهؤلاء المغنون يملأون المهرجان بهجة بأناشيدهم الرقيقة وموسيقاهم العذبة.

وعد مهرجان "راث ياترا" أحد المهرجانات الهندية الكبري، ويحتفل به في البنغال في ذكري الإله "جاجانات" الذي يجسد الإله "فيشنو"، ويأخذ الاحتفال به طابعاً متميزاً في البنغال، حيث يجتمع الناس ويجرون المركبة الخشبية للإله "جاجانات"، وينثرون عليها الأزهار المختلفة الألوان ويهتفون باسمه، ويتسابقون في أخذ الحبل المقدس حتي يصلون إلى خليج البنغال حيث يلقون هناك تمثال الإله مع مركبته الخشبية الضخمة في الماء، ويرجعون إلى بيوتهم معتقدين غفران ذنوبهم.[1]

وعد مهرجان "جانجا ساجر" من أكثر المهرجانات اهتماماً واحتشاداً بالبنغال، وكان يحتفل به كل عام في أواسط شهر يناير في جزر "ساجر" الواقعة عند ملتقى نهر الجانج الشهير، وتتكون من احدى وخمسين جزيرة صغيرة تغطى مساحة خمسمائة واحدى وثمانين كيلو متر مربع، وفيه يعبد الهندوس نهر الجانج كإلهة لأنها تسقى الحقول وتتم بها الزراعة ولأسباب أخري كثيرة، ويعتقدون أن إلتقاء هذا

[1] سعيد الرحمن: الأعياد والمهرجانات في ولاية البنغال الغربية، ص ص ٢٣٤: ٢٣٨.

النهر مع خليج البنغال مكاناً مقدساً يتوافد إليه الزائرون من كل أنحاء الهند؛ ليغتسلوا في هذا الملتقي ليتطهروا فيه من خطاياهم.

واحتفل في البنغال بعيد "فيشنو كارما بوجا" باهتمام كبير وأبهة عظيمة في شهر سبتمبر من كل عام، وهذا العيد تمجيد للإله "فيشنو" إله الخلق والإبداع عندهم، وينصبون تمثاله حاملاً مطرقة في يده أمام الدكاكين والورش التي يقومون بتنظيفها وطلائها، ويوزعون فيه الحلوي على الأصدقاء.[١]

ومن الأعياد الهندوسية الهامة التي تشارك البنغال سائر أقاليم الهند في الاحتفال به عيد "ديباولي"، وهو عيد الأنوار، واحتفل به في الخريف عند نهاية الرياح الموسمية وبداية موسم الشتاء، ويستمر الاحتفال به أربعة أيام من الثاني عشر إلى الخامس عشر من شهر أشوين (أكتوبر- نوفمبر)، وهو يعد من أكبر الأعياد احتفالا في الديانة الهندوسية، ويأخذ هذا العيد اسمه من الكلمة السنسكريتية "ديباولي"، وتعني انعقاد المصابيح، ففيه تضاء كثير من المصابيح في المنازل والشوارع والمحلات التجارية.

ووصف راجا "بهوج" تفاصيل هذا العيد في كتابه "مارتند" "إن الناس لا يطعمون الطعام صباح هذا العيد، ويعبد تمثال لكشمى ديوى فى أقاصى الهند وأدناها وقراها وميادينها، ويحتفل هذا التقريب خاصة بوفرة الضياء وزيادة النور، فحواضر الهند وبواديها وكل بيت ودكان وطريق ومحل الاستراحة تنور بالضياء، وتشرق أرض الهند بنور السرج".[٢]

---

[١] سعيد الرحمن: المرجع نفسه، ص ص ٢٣٩: ٢٤٢.

[٢] الهند، ثقافة الهند، مج١،ع٣، يوليو ١٩٦٣م، ص٤٠،٤١.

وفي هذا العيد يقوم البنغاليون بالتنظيف السنوي لمنازلهم ومحلاتهم، وتطلى المنازل، ومن المعتقدات الهندوسية أنه في هذا الجو النظيف والمنور تقوم الإلهة "لكشمي" ـ إلهة الثروة والمال ـ بزيارة بيوت عبَّادها لتباركهم في أنفسهم وأموالهم، ولذلك يفتحون أبواب البيوت على مصراعيها من أول الليل إلى بزوغ الفجر لاستقبالها، كما يهتمون بإعداد الحلويات المصنوعة من الحليب والسكر لاعتقادهم أن "لكشمي" تحبها، ويقومون بتوزيع الحلويات على الجيران والأقارب.

واحتفل في اليوم الثاني عشر من أشوين[1] بديباولي الأصغر، وفي هذا اليوم تنظف البيوت والمحلات، ويجتمع الناس طوال الليل، وفي الصباح تكنس ربات البيوت منازلهن، ويجمعن القمامة والأثواب البالية، ويلقونها في المزبلة قائلات: ليبعد الفقر والبؤس والشقاء من البيت.

وفي اليوم التالي يحتفل بديباولي الكبير حيث تبلغ الاحتفالات ذروتها، وتزين البيوت والمحلات، وتعقد حفلات العبادة للإلهة "لكشمي" حيث يشارك أفراد الأسرة كلهم، ويدعون أن تجلب السنة القادمة لهم السعادة والرخاء، وتشعل المصابيح التي يقوم الناس بصنعها من فتاتيل قطنية توضع في آنية طينية مملوءة بالزيت، ومازالت هذه المصابيح الطينية منتشرة في القري حتي الآن، وتضاء هذه المصابيح على شواطئ نهر الجانج وأسقف المنازل والمعابد مضفية منظراً طبيعياً خلاباً، كما يقومون بصنع قوارب صغيرة من أوراق التنبول، يوضع فيها الزيت والفتيل القطني، وتشعل وتطرح على سطح الماء، لتطفو واحدة تلو الأخري كأنها خيوط من النار على السطح المتموج إلى حد مرمي البصر، وفي المساء يجتمع أفراد الأسرة ويتسامرون حتي منتصف الليل وأحياناً حتي الصباح.

---

[1] أشوين هو الشهر السادس من الشهور البنغالية، يقع بين شهري سبتمبر وأكتوبر.
calendars.wikia.com/wiki/Bengali_calendar

وفي اليوم الثالث تعقد عبادة إله الجبال "غوبردهن"، وفيه تصنع النساء نماذج له من روث البقر تمثل الإله "كريشنا" مستلقياً على ظهره، وتحيط به أرغفة تصور جبلاً محفوفاً بسيقان الأعشاب مع باقات القطن أو الخرقة على الرأس، وتصنع قروض صغيرة من الروث تصويراً للماشية يراقبها رجال مصنوعين من الروث أيضاً، وتوضع ممخضة اللبن فيه مع خمسة أعواد من قصب السكر والأرز، ويشعل مصباح في وسطه، ويدعى إليه رعاة البقر ليركعون أما "غوبردهن"، وتقدم الحلويات بعد ذلك.

وفي اليوم الرابع يحتفل بعيد "بهيا دوج"، وهو عيد خاص بالإخوة والأخوات، وفيه تصوم الأخوات، ويفطرن في المساء مع الدعاء لأشقائهم بحياة مديدة، ويقوم الإخوة بتقديم الهدايا لأخواتهن، وبذلك يختتم عيد "ديبوالي" برسالة من الحب والإخلاص بين الإخوة والأخوات.[1]

الموسيقي والرقص في البنغال

كان للموسيقي أهمية خاصة في الهند، وذلك لارتباطها بالدين ارتباطاً وثيقاً، لأنهم يرون أن الموسيقي هبة من الآلهة، ففي اعتقادهم أن "البراهما" ـ وهو عندهم الإله الخالق ـ وهب شعبه الهندي الموهوب في الموسيقي طائفة من الأغاني الدينية المقدسة يطلقون عليها اسم "راجا"، وهو يقابل في الموسيقي العربية المقام أو النغم، فالهند تعتقد أن هذه الراجات ألحان إلهية لها سحر فوق طاقة البشر، وتأثير تتغلب به حتي علي قوي الطبيعة، ولهم في ذلك العديد من الأساطير، كما ارتبط الدين

[1] أنصار أحمد: عيد ديباولي (عيد الأنوار)، ثقافة الهند، مج ٥٦، ع١، ٢٠٠٥م، ص٢٤٤: ٢٥١.

عندهم بالرقص، فهناك طائفة من الغيد الحسان يقدمن أنفسهن لخدمة الآلهة بالرقص في المعبد، ويطلق عليهن اسم "خادمات الآلهة".[١]

وقد عد السلاطين المسلمون أهم رعاة للموسيقي والغناء في الهند، وكانت "لكهنوتي" من أهم المراكز المزدهرة في الموسيقي والغناء بالهند، وذلك بسبب تقديمها ثروة من الأغاني الشعبية أهمها أغاني العمال وخاصة الصيادين، وقد عدت أغاني الحب البنغالية ـ التي وردت في كتابات الفيدا السنسكريتية ـ من أهم الأغاني في شبه القارة الهندية في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.[٢]

قدمت البنغال ثروة من الأغاني الشعبية الثرية، تنوعت ما بين أغاني العمال والأغاني التعبدية والشعائرية والأغاني الموسمية وأغاني الاحتفالات، وقد تنوعت أشكال وأنواع الأغاني الشعبية في البنغال، وأشهر هذه الأغاني "ألكاب" و"بولان" و"جامبهيرا" و"ماريفاتي" و"مرشدي" و"جاري" و"ساري" و"خان" و"جهاتي" و"بانشالي" و"جاج" و"بير" و"جهومور" و"بانخي" و"بتالي" وغيرها كثير، وبعض هذه الأغاني عد قصص درامية جيدة، وعد بعضها أوبرا ريفية في ذلك الوقت، مثالاً على ذلك أغاني "ألكاب" في مقاطعتي "مرشد آباد" و"مالده"، وأغنية "كورشوني" في مقاطعة "جالباجيري".

وقد يصاحب هذه الأغاني رقصات شعبية، مثل الأغاني الشعبية لمدينة "رولان" في مقاطعة "ردهه" ومدينة "جهاتي" في مقاطعة "ميمنسينجه" ومدينة "تريبورا" في

---

[١] ثروت عكاشة: فنون الشرق الأقصي (الفن الهندي)، ط١، دار الشرق، ٢٠٠٥م، ص٣٥٠. محمود فهمي زكي: الفنون في الهند، ثقافة الهند، مج٨، ع١، مارس ١٩٥٧م، ص٦، ٧.

[٢] Strangways,Fox. The Music of Hindostan. Oxford.١٩١٤,p.٧,١٧.

مقاطعة "سيلهت".[١] كما قدمت البنغال أنواع مختلفة من الأغاني القريبة من الكلاسيكية، والتي أهمها "رابهيندرا سانجيث".[٢]

وقد ازدهرت مجالس الطرب في قصور حكام وأمراء البنغال، بل امتدت أيضا إلى قصور كبار التجار، فأقام التجار الأثرياء حفلات ضخمة في قصورهم، وتعزف في هذه الحفلات فرق موسيقية بارعة، ويقدمون بها الخمور من مختلف الأنواع.[٣]

وكانت الموسيقي العسكرية جزءاً هاماً من الموسيقي البنغالية، وكانت فرقة "البايك" تقوم بإلقاء التحية للسلطان كل صباح وكل مساء، تكونت فرقة "البايك" من خمسة آلاف جندي تقدم التحية للسلطان وتعزف الموسيقي كل صباح، ولا ينصرفون ليلاً إلا بعد عزف الموسيقي وأداء التحية للسلطان.[٤]

أما الرقص فقد عرف الهنود منذ القدم ببراعتهم فيه، وهو عندهم نوع من أنواع العبادة شأنه في ذلك شأن الموسيقي، فقد شكل كل من الرقص والموسيقي جزءاً أساسياً من الشعائر الدينية، وقد ظهر الرقص التعبيري من قديم الزمان عند الهنود معبراً عن الأحاسيس والمشاعر باهتزاز الجسد في حركات انفعالية إيقاعية، ثم تدرج الرقص الهندي بعد ذلك إلى الأسلوب القصصي الرمزي، فالرقصة تقص حوادث

---

[١] Datta, Amaresh. Encyclopaedia of Indian Literature: derajdevraj to jyoti.vol.٢. New Delhi.٢٠٠٥, p.١٢٧٩.

[٢] Narayan M. K. V. . Flipside of Hindu Symbolism: Sociological and Scientific Linkages in Hinduism. ٢٠٠٧, p.١٧٦.

[٣] Barbosa, Duarte. The Book of Duarte Barbosa, p.١٤٨.

[٤] Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, p.١٢١.

ووقائع ترمز إلى مظاهر الحياة، ثم أصبح الرقص بعد ذلك عنصراً من عناصر الترفيه يعبر عن أهواء الطبيعة ومزاج الإنسان وأحداث الحياة.

ولا يعتمد الرقص الهندي مطلقاً على جمال جسد الراقصة بل يعتمد على قدرتها التعبيرية بالوجه والأذرع والأرجل والأصابع والرأس، فكل حركة من حركات الرقص ترمز إلى أشياء وأفعال ومعاني، والرقصة في مجموعها تحكى قصة من القصص في صمت سحري جميل، وجسد الراقصة في كل هذه الحركات مستور بالملابس الفضفاضة الطويلة التي تتغير ألوانها ونقوشها تبعاً لقصة الرقصة وموضوعها.[١]

وقد استمد غالبية الرقص في البنغال موضوعاته من الآلهة الهندية وخاصة "كريشنا"[٢]، فهم يرجعون أصل الرقص إلى الإله الهندوسي "كريشنا" الذي ترجع معظم الفنون الهندية أصولها له، والذي قيل أنه كان الدليل لفن الرقص.[٣]

عد الرقص المانيبوري من أشهر الرقصات الكلاسيكية في البنغال، بل هي تعد المنشأ الأول له، وهو ينسب إلى "مانيبور" إحدي ولايات البنغال، وكان الرقص المانيبوري من أشهر الرقصات ليس في البنغال فقط وإنما في الهند كلها، فقد اشتهر الرقص المانيبوري بأنه واحد من الأربع رقصات الكلاسيكية في الهند، ويؤدي الرقص المانيبوري[٤] في حركات خفيفة بسيطة.[١]

---

[١] ثروت عكاشة: فنون الشرق الأقصي (الفن الهندي)، ص٣٥٩. محمود فهمي زكي: الرقص الهندي، ص٧٤،٧٥.

[٢] إشفاق: شمال شرق الهند: منطقة ثقافية متنوعة موغلة في القدم، ص٢٤٣.

[٣] ثروت عكاشة:المرجع نفسه، ص٣٦٠.

[٤] انظر الملحق شكل (٨)

كما اشتهرت البنغال بالعديد من الرقصات الشعبية، من أشهر هذه الرقصات الشعبية "شو"، ويؤديها راقصون رجال مرتدين أقنعة، وقصة هذه الرقصة قصة أسطورية، تستمد مادتها من ملحمتي "المهابراتا" و"الرامايانا"، ومن أشهر الرقصات التعبدية في البنغال رقصة "الجامبهيرا"، وهي تحتل مكانة متميزة في الثقافة البنغالية، وكانت تؤدي في احتفال "شاداك"، وتجد شعبية كبيرة لها في شمال البنغال وخاصة في مقاطعة "مالده"، وهي رقصة منفردة، يؤديها الراقص مرتدياً قناعاً على وجهه.

ومن أشهر الرقصات القبلية في البنغال رقصة "السانثال"[٢]، وكانت تؤديها قبيلة "السانثال" التي تضم البنغال غالبية أفرادها، وكانت تؤدى للإله "ساكورجي" الذي يعتقدون أنه خالق العالم، وكانوا يؤدونها في حركات تعبر عن عظمة الطبيعة وتقديم الصلوات للإله.

ورقصة "الباريتا" من أشهر الرقصات النسائية في البنغال، وهي رقصة تؤديها السيدات ابتهالاً للإله ليهبهن الأطفال، ثم يقدمن شكرهن له عند تحقيق رغبتهن، وهذه الرقصة تؤديها النساء فقط، كما تؤدى هذه الرقصة عند الشفاء من الأمراض العضال.

ويؤدي الشيعة في البنغال رقصة "اللاثي"، وهي رقصة شعبية يؤدونها في الاحتفال بمقتل الحسين في يومي التاسع والعاشر من شهر محرم، ويؤدى الشباب

---

[١] إشفاق: شمال شرق الهند: المرجع نفسه، ص٢٤٣.

[٢] انظر الملحق شكل (٩)

هذه الرقصة بطريقة معبرة جميلة، مظهرين مشاعر صادقة ومعبرة عن الغضب والحب والألم.[١]

المرأة البنغالية

احتلت المرأة فى الهند فى العصر الإسلامى مكاناً متميزاً من التبجيل والاحترام، وكانت تعامل بكثير من الرفق والعناية، ولذلك فرض الحجاب عليها صوناً واحتراماً لها، فالمرأة بالنسبة للمسلمين أمانة مقدسة، وهى "الحريم" أو "الحرم" التى يجب الحفاظ عليها.[٢] ولم يكن الحجاب غريباً عن الهند، فقد عرفت قبل الفتح الإسلامى نوعاً من الفصل بين الجنسين فى الأوساط الأرستقراطية، كما فى كثير من البلدان الأخرى وخاصة فى بلاد الإغريق وفى إيران القديمة وإلى حد ما فى جميع أجزاء آسيا الغربية، ولكن لم يكن هناك عزل صارم للنساء فى أى مكان. ولم يتم التشديد في "البوردا" في الهند ــ وهو حاجز يحجب النساء عن أعين الرجال ــ إلا فى فترة متأخرة، عندما أصبح علامة على الشرف ورفعة المقام عند المسلمين والهندوس معاً.[٣]

وطبقاً لملاحظات "باربوسا" فقد حرصت الطبقة العليا البنغالية على تطبيق نظام "البوردا" على السيدات البنغاليات، فقد ذكر

---

[١] http://www.indianetzone.com/١/folk_dances_west_bengal.htm

[٢] محمود الحسن الندوى: النساء المسلمات الشهيرات فى الهند، ثقافة الهند، مج١٧،ع١، يناير١٩٦٦م، ص٢٨.

[٣] نهرو: اكتشاف الهند، ص١٥٠.

التزامهن منازلهن، وفي مقابل ذلك حظين بمعاملة جيدة من أزواجهن اللذين وفروا لهن معيشة رغدة.[١]

أما المرأة من الطبقات الدنيا الكادحة في المجتمع فيصعب تطبيق هذه الصورة عليها، فالمرأة البنغالية من الطبقة الفقيرة عملت بجانب زوجها في الحقول، واشتغلت بأعمال شاقة، ويتضح من ذلك نشاطها وكفاءتها. وقد احترفت المرأة البنغالية عدة صناعات أهمها الغزل[٢] والتطريز[٣] والصناعات الفخارية.[٤] كما عملت المرأة البنغالية في العديد من المهن الخدمية، فقد عملت كغسالة، حيث تقوم بغسل الملابس على حافة النهر.[٥]

وكان للمرأة البنغالية دور ظاهر في الحياة السياسية، فقد ظهر تدخل عدد من سيدات الأسر الحاكمة في السياسة، ومن أبرز الأمثلة على ذلك إثارة الزوجة الأولي للسلطان "سكندر شاه" الوقيعة بين السلطان وابنه "غياث الدين"، وسبب ذلك رغبتها في توريث الحكم لأبنائها، فقامت بمحاولتها لإقصاء السلطان عن توليته ولاية العهد، ولعلم "غياث الدين" بأحقاد وتدبيرات زوجة أبيه تجاهه هرب إلى "سناركَاون"، وأقام سلطنة مستقلة في شرق البنغال، ووصل الأمر أن تقدم السلطان "سكندر" لقتاله، إلا إنه قتل أثناء المعركة، وتقدم "غياث الدين" إلى "بندوه" حيث

---

[١] Barbosa, Duarte. The Book of Duarte Barbosa, p.١٤٨.

[٢] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , p.٣٥٨.

[٣] Watt, George. Indian Art of Delhi,p.٣٩٩.

[٤] Foster, George M. .Pottery-Making in Bengal., p. ٤٠٥.

[٥] Dutt, Romesh Chunder. The Literature of Bengal. Thacker Spink. Calcutta. ١٨٩٥, p.٣١.

اعتلى عرش البنغال، وقبض على إخوته وسمل أعينهم جميعاً، وأرسل أعينهم إلى والدتهم.[١]

ومن المواقف التي تدل على قوة ومكانة المرأة في بلاط سلاطين البنغال لدي السلاطين والأمراء احتكام الأمراء لأرملة السلطان "فتح شاه" بعد نجاحهم في قتل قاتله السلطان "شاهزاده"، ولكنهم وقعوا في حيرة لأن ابن السلطان "فتح شاه" لم يتجاوز العامين من عمره، فخيروا والدته لاختيار من يتولى الحكم مكانه، فقالت أنها آلت على نفسها أن تختار الأمير الذي قتل قاتل السلطان "فتح شاه" وهو "ملك أنديل"، ووافق الأمراء على هذا الاختيار، ورفعوه على عرش البنغال.[٢]

وقد حظيت بعض الجواري بقرب سلاطين البنغال، وتمتعن بمركز عالى في البلاط، وقد حظيت ثلاث جواري للسلطان "غياث الدين أعظم شاه بن السلطان سكندر شاه" بحظوة لديه، وهن "سارف" و"جول" و"لالاه"، وقد انتخبهن من حريمه ليقمن بمداواته أثناء مرضه، وبتغسيله عند موته، وبعد شفائه حظين بمكانة كبيرة لديه، وفي أحد مجالسه مدحهن بمقطع بيت من الشعر لم يستطع أحد من الحاضرين تكملته فأرسله إلى الشاعر الشهير "شمس الدين حافظ" في "شيراز" فأكمله له.[٣]

---

[١] Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, pp.١٠٦ - ١٠٨.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India, Vol. III,p.٢٦٤.

[٢] الهروي: طبقات أكبري، ج٣، ص١٦٨.

Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, P.١٢٤.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India, Vol. III,p.٢٦٩.

[٣] Salim, Gulam Husain. OP.Cit., p.١٠٨,١٠٩.

Haig, Wolseley. OP.Cit., Vol. III,p.٢٦٤.

وقد تزاوج المسلمين بالبنغاليات، ووجد هذا التزاوج ترحيباً كبيراً في المجتمع الهندي لأنه الوسيلة الوحيدة للترقي الاجتماعي للهندوس، وخاصة المنتميين للطبقة الدنيا.[١] ولم يقتصر التزاوج بين المسلمين والهندوس على الطبقة الدنيا، وإنما تم الزواج بين المسلمين والهندوس من الطبقة العليا، فقد تزوج "ماهيسوار" جد الشاعر "محمد خان" من فتاة برهمية، كما تزوج البنغاليون الحديثي العهد بالإسلام من الطبقة العليا من الأميرات المسلمات، من ذلك زواج "كاليداس غازي" أحد الراجبوت الكشتارية الذي دخل في خدمة السلطان "حسين شاه"، وبعد اعتناقه الإسلام غير اسمه إلى "سليمان"، وتزوج أميرة من أسرة السلطان "حسين شاه"، وأنجب منها ولدين هما "إسماعيل" و"عيسي".[٢]

وتتزوج الفتاة قبيل وصولها سن البلوغ أو في حدود التسع سنوات[٣]، فقد جرت العادة في المجتمع الهندي على تزويج الفتيات والفتيان في سن مبكرة، واعتبروا هذا الأمر واجب ديني، وقد ثبت في الأدب البنغالي تطبيق نظام الزواج المبكر في البنغال، فمن المعروف من خلال أدب الفيشنوية أن "شايتانيا" المعلم الأعظم للفيشنوية تزوج في سن الثانية عشر من عمره، وبالتأكيد كانت زوجته أصغر منه، وتزوج "كلاكيتي" بطل "الشانديكافيا" من "بهيلارا" في سن الحادية عشر، ولم تشذ الطبقة العليا عن ذلك، ولم يكن للفتيات والفتيان أي فرصة في اختيار شريك حياتهما، فلا يأخذ الوالدين أو الأوصياء رأيهم بعين الاعتبار، وإن وجدت حالات قليلة تشذ عن هذه القاعدة، وخاصة مع الفتيات اللاتي حظين بتعليم عالى، "ففيديا" بطلة "أنادمانجالا" اختارت زوجها عقب مناظرة أدبية.

---

[١] Inden, Ronald B.. Marriage and Rank in Bengali Culture , p.٧٥.

[٢] Abdu Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal. vol.١ ,p.٦٨.

[٣] Klass,Morton. Marriage Rules in Bengal, p. ٩٥٢.

وطبقاً للعادات لدي الهندوس تقوم الزوجة بدفع الدوطة لزوجها، وذلك على العكس من المسلمين حيث تتلقى الزوجة المهر من زوجها، وعند تقديم المهر يقوم والد العروس بتقديم الهدايا للعريس وأهله، وإن كان هذا الأمر غير ملزم له، وذلك على العكس من الهندوس فوالد العروس يكون ملزماً بتقديم دوطة كبيرة للعريس، وحتي الطبقات الهندية الفقيرة يكون على والد العروس تقديم الدوطة للعريس، مما يشكل عبئاً كبيراً عليه.

وكان تعدد الزوجات شائعها بين المسلمين والطبقات العليا من الهندوس وخاصة البراهمة، فكان يمكن للبرهمي أن يتزوج العديد من الزوجات ليحظي بالدوطة التي تدفعها كل زوجة، وقد أشار الأدب البنغالي إلى ذلك، "فبهافاناندا ماجومدار" الذي ورد ذكره في "أنادمانجالا" كان له زوجتان، ويتضح لنا من "الشانديكافيا" أن الهندوسي كان يمكن أن يحظى بسبع زوجات.[١] وانتشر تعدد الزوجات بين المسلمين في ذلك الوقت، وخاصة في الطبقة العليا، فكان لكل رجل ثلاث أو أربع زوجات غير الجواري.[٢]

ومن قوانين الزواج في البنغال أن أول زوجة للرجل يجب أن تكون عذراء، ويحبذ زواج أبناء العمومة .[٣] وطبقاً لقوانينهم الزواج المعترف به لدي الهندوس هو الزواج من داخل الطبقة، وزواج ابن لرجل من طائفة البراهمة بإحدي نساء المزارعين يعد زواجاً غير نقياً، ولا يتمتع أطفالهم بحقوق متساوية مثل أولئك الذين ولدوا من زيجات من نفس الطبقة، أما زواج الرجال من طبقة أدني بنساء من طبقة أعلى

---

[١] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal, pp.٢٨٢ - ٢٨٥.

[٢] Barbosa, Duarte . The Book of Duarte Barbosa, p.١٤٨.

[٣] Klass,Morton. Marriage Rules in Bengal, p. ٩٥٢.

فيرفض المشرعون الاعتراف به، ويجعلون المولود من هذا الزواج خارج القانون المقدس، فللحفاظ على نقاء الجنس تعتبر المرأة أكثر أهمية من الرجل، ورغم هذه القيود في الزواج بين مختلف الطبقات فإنه كان شائعاً، بل حتي الطبقة الأرستقراطية لم تكن معصومة من هذا الأمر.[١] وقد أعقب الفتح الإسلامي للبنغال تغيرات كثيرة في المجتمع الهندي من أهمها انتشار الزواج من خارج الطوائف، وقد نتج عن هذا الأمر ظهور طوائف جديدة ينظر إليها من قبل المجتمع القديم نظرة انتقادية.[٢]

هذا ويجب الإشارة إلي بعض العادات الاجتماعية السيئة التي أضرت ليس بالمرأة البنغالية فقط وإنما بالمرأة الهندية أيضاً، ويأتي علي رأسها عادة الساتى، وهي أن تحرق المرأة نفسها مع جثمان زوجها المتوفى وفاءاً له، وهي عادة منتشرة وخاصة بين الطبقات العليا، وتعد عادة الساتي مثلاً أعلى لكل امرأة هندية وفية لزوجها.[٣]

وترجع بداية ممارسة عادة الساتي في البنغال إلى الملكة "ماينا" التي ألقت بنفسها في النيران المشتعلة لإحراق جثمان زوجها الملك "مانيكيهاندرا راجار جان"، وطبقاً لمعتقداتهم فقد عادت في دورة أخري للحياة وانجبت ابنها "جوفيندا شاندرا".

ولا نعرف معلومات كثيرة عن ممارسة الساتي في البنغال في العصر الإسلامي، وقد أشار "مانسامانجالا كافياس" ـ الذي عاش إبان القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي .إلى ممارسة

---

[١] جارات: تراث الهند، ص١٠١، ١٠٢.

[٢] Inden, Ronald B.. Marriage and Rank in Bengali Culture , p.٧٤.

[٣] Sastri, Nilakanta . Advanced History of India, New Delhi,p.٣٧٨.

الساتي بها، فعند وفاة "لاكشميندار" قاموا بوضع جثمانه على طواف أبحر في النهر، وقامت زوجته "بهيلا" بمصاحبته رغم محاولة حماتها وأقاربها إثنائها عن عزمها، وقد ذكرت مقولة لحماتها وهي تنتحب عليها "إنها لم تسمع بذلك في هذا العالم، إن الأرملة الصغيرة لا تصطحب أبداً زوجها المتوفي"، ويدلنا ذلك على قلة ممارسة عادة الساتي في البنغال إبان العصر الإسلامي، ومن ناحية أخري تلزم الأرملة بيتها بعد وفاة زوجها، ولا تتزوج مرة أخري.[١]

ومن العادات الاجتماعية الخاطئة الأخري التي سادت في ذلك الحين وأضرت بالمرأة الهندية زواج الأطفال، والاعتراض على إعادة زواج الأرملة ووقف نساء المعابد للمتعة، وحجب المرأة في الحريم، وقلة مشاركتها الاجتماعية.[٢]

حظيت المرأة البنغالية بنصيب وافر من التعليم، فقد اهتم المسلمون بتعليم بناتهم، واعتبروا هذا الأمر واجباً دينياً، وخاصة تعلم القرآن وتعاليم الدين، فكانت الفتيات يذهبن إلى الكتاتيب مع الفتيان لتعلم القرآن وأمور الدين والكتابة، أما التعليم العالي فلم تحظ به كل الفتيات، فقد انصب على فتيات الطبقة العليا، وخاصة البيت الملكي، فقد ظهر الاهتمام بتعليم الأميرات في القصر السلطاني، كما اهتم الأثرياء بتعليم بناتهم وتثقيفهم باستقدام معلمين في بيوتهم لهذا الغرض.

---

[١] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , p.٣٥٩,٣٦٠.

[٢] National Resources Center for Women .Women in History. ٢٠٠٦,pp.١٢-٢٤.

وعلى الرغم من قلة التعليم العالي بين فتيات البنغال في العصر الإسلامي إلا إنه ظهر عدد منهن برعن في الأدب، وقد أمدتنا المصادر الأدبية البنغالية بنماذج منهن، فقد أشارت "فيجاياجوبنا" إلى براعة زوجة قاضي "حسنباتي" في نظم "السوترا" الهندية، ومن أعمال الأدب البنغالي التي ألقت الضوء على تعليم المرأة في البنغال كتاب "ألف سؤال لمليكة" وبطلة هذا العمل الأدبي "غاداي ماليكر بوثي"، والذي يسمي أيضاً "ماليكر هزار سؤال".

و"ماليكر" فتاة مسلمة وصلت إلى درجة عالية من العلم في العديد من فنون المعرفة، وقد أعلنت أنها ستتزوج من يستطيع التغلب عليها في مناظرة أدبية، وقد تقدم لمناظرتها العديد من الأمراء والعلماء، ولكنها استطاعت إفحامهم جميعاً، وفي النهاية استطاع العالم الصوفي "عبد الحليم جادا" أن يجيب على ألف سؤال طرحتها عليه ويتزوج منها.

وأيضاً العمل الأدبي البنغالي المعاصر لهذه الرواية "سيف الملك بوثي" للشاعر "عبد الحكيم"، وبطلة هذه الرواية "لال باني" التي ذكر وصولها إلى درجة الكمال في مختلف العلوم. ولأن الأدب هو مرآة المجتمع ولذلك يمكننا الاستدلال من هذه الروايات على وصول عدد من الفتيات البنغاليات المسلمات إلى درجة عالية من العلم تمكنهن من دخول المناظرات مع العلماء.[١]

[١] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal , pp.١٩٩ - ٢٠٢.

وأيضاً حظيت المرأة الهندوسية بحرية التعلم في البنغال تحت الحكم الإسلامي، حتي الفتيات الفقيرات منهن حظين بقدر من التعليم، فزوجة المزارع كانت تستطيع كتابة الحسابات، وقد تلقت الفتيات الهنديات من طبقة الأثرياء تعليمهن في "الباثالا" أو تحت الأشجار في مكان إقامة "الجورو" أو المعلم الذي يجلس على مقعد حديدي منخفض بلا ظهر أو ذراعين، وتجلس الفتيات بجانب الفتيان على حصائرهم، وتقوم الفتيات بتعلم القراءة والكتابة في "الباثالا"، وهو مكتب يتكون من طابق واحد في بعض الأحيان، ويقوم "المنشي" أو المعلم المسلم بالتعليم في الصباح، ويقوم "الجورو" بتعليم طلابه بعد الظهر، ويستمر هذا التعليم الأولي ست سنوات تقريباً.

وقد سجل التاريخ أسماء العديد من السيدات البنغاليات اللاتي حظين بقدر وافر من التعليم العالي، من أهمهن "رامي" محبوبة الشاعر "شانديا" التي عملت كغسالة، وقد نظمت شعراً باللغة البنغالية، وتلقت "مدهافي" تلميذة "شانديا" تعليماً عالياً على يديه، وقد نظمت العديد من الأشعار الجميلة، وأيضاً الشاعرة المتألقة "شاندرافاتي" ابنة الشاعر "بانسيدا" التي أهدت الأدب البنغالي العديد من الأشعار الجميلة، وقد عاشت في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

كما ظهر عدد من العالمات البنغاليات في العلوم التطبيقية من أهمهن "خانا" التي عاشت في فترة مبكرة من الحكم الإسلامي

للبنغال، وقد تلقت تعليماً عالياً في العديد من العلوم، وقد عدت ملاحظاتها القيمة في علم الفلك من الأسس التي اعتمد عليها هذا العلم في البنغال.[١]

المؤسسات الاجتماعية

عني سلاطين البنغال بتوفير الرعاية الاجتماعية لشعبهم، وذلك عن طريق إنشاء المؤسسات الاجتماعية التي تدل كثرتها في البنغال على ما استطاع السلاطين تحقيقه لشعبهم من راحة، وذلك بتوفير المؤسسات التعليمية والسقايات والأسبلة والاستراحات في أنحاء البلاد.

وتأتي المساجد على رأس هذه المؤسسات فلم يكن المسجد للصلاة فقط، بل لعب دوراً هاماً في الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية للمسلمين.[٢] وغالبية التدريس في الهند كان يتم في المساجد أو في مؤسسات تابعة للمساجد، بل إن هناك طائفة من علمائها مازالت حتى يومنا هذا متمسكة بالتدريس في المساجد قدوة بالعلماء السابقين.[٣] ومن أهم الدلائل على اعتبار المساجد مراكز للتعليم في البنغال نقش مسجد "تريبيني" المؤرخ سنة (٦٩٨هـ / ١٢٩٨م) الذي يشير إلى فضل العلم والعلماء، وكذلك فضل تدريس العلوم الشرعية.[٤]

---

[١] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal, p.٢٠٣, ٢٠٤.

٢ منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائه، ترجمة سامى الصفار، الرياض، دار المريخ،١٩٨١، ص٦٩.

[٣] صلاح الدين الأنصاري: اللغة العربية في الهند (ماضيها وحاضرها) ، ص٤٢، ثقافة الهند، مج١٨، ع٢، إبريل ١٩٦٧م.

[٤] محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال، ص١١٧.

كما لعب المسجد دوراً اجتماعياً بارزاً في المجتمع الإسلامي، فكان فناؤه ملجأ للاجئين والرحالة يقيمون به.[١] كما كانت تتم به عملية ختان الأطفال الذكور، وهي عادة اجتماعية مهمة للمسلمين.[٢]

ويسمي القائم على أمر المسجد "المولا"، وعليه تلاوة القرآن والآذان للصلاة، ويردد خلف الإمام في الصلاة، وتنظيف المسجد إذا لم يوجد من ينظفه، والتدريس في الكتَّاب الذي يوجد أحياناً في فناء المسجد، حيث يقوم بتحفيظ الأطفال القرآن الكريم، ويقوم ببيع رقية بها آيات من القرآن يكتبها في ورقة، وتربط حول اليد أو الركبة، ويعتقدون في أنها تحفظ صاحبها من الأمراض والحسد والأراوح الشريرة، ويتقاضى الملا راتباً بسيطاً.

ويكون الإشراف العام على المسجد وعلى موارده المالية في يد "المولوي" الذي حظي بمكانة كبيرة في المجتمع، وهو عالم بارع في علوم القرآن والسنة والشريعة التي يقوم بتدريسها، وإذا كان حافظاً للقرآن كله يسمي "الحافظ"، ويحظي بشرف أكبر، ويكون عليه إمامة المسلمين في صلاة القيام برمضان، و"المولوي" دائم السفر ليزور تلاميذه في القري حيث يقوم بالتدريس والوعظ وعلاج المرضي.[٣]

وقد أضيئت البنغال بكثير من المساجد التي أنشأها سلاطينها وأمرائهم وكانت منارات للتعليم بها، ومن أهمها المسجد الذهبي في "بندوه" الذي بناه السلطان "يوسف شاه بن باربك شاه" سنة (٨٨٥هـ / ١٤٨٠م)، وبنى السلطان "نصير

---

[١] Russel R.V.. The Tribes and Caste of The Central Provinces of India, p.٢٦٦.

[٢] Abdur Rahim, Mohammad. Social and Cultural History of Bengal, pp.٢٨٠ - ٢٨٢.

[٣] Russel R.V. . OP.Cit.,p.٢٦٦,٢٦٧.

الدين محمود شاه" كثيراً من المساجد في "غور" و"سدكَاون" [١]، وبنى السلطان "جلال الدين محمد شاه" كثير من المساجد من أهمها مسجده في "غور"، ومسجد "مياي كي" عاصمة أركان. وبني السلطان "سكندر شاه" مسجد "أدينه" في "بندوه" وكثير غيره من المساجد الجميلة[٢]، وأيضاً المساجد الكثيرة التي أنشأها السلطان "نصير الدين بن حسين شاه" في "سنركَاون" و"أشرف بور" و"نافاجرام" و"مانجالكوت" و"مالده" والمسجد الذهبي المعروف باسم "مسجد سونا".[٣]

هذا وقد اهتم سلاطين البنغال بإنشاء المدارس التي كانت بمثابة منارات لنشر الثقافة الإسلامية في البنغال، منها المدارس التي بناها "غياث الدين إيواز الخلجي" في أنحاء البنغال[٤]، ومدرسة "دار الخيرات" التي بناها "خانجهان ظفر خان" أحد كبار رجال دولة السلطان "أبو المظفر فيروزشاه" سنة(٧١٣هـ / ١٣١٣م)، وبنى السلطان "جلال الدين" العديد من المدارس.[٥] وقد بنى السلطان "علاء الدين حسين شاه" مدرسة ملحقة بمسجد صغير في "إنغلش بازار" بالقرب من "فيروزبور" بمدينة "غور"، وكان الغرض من بنائها كما ذكر في النقش تدريس علوم

---

[١] Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, P.١١٩.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultante .P.١١٨.

[٢] Hussain, Syed Ejaz. OP.Cit..P.٩٥, ١١٣.

[٣] Salim, Gulam Husain. OP.Cit., P.١٣٤.

Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslim of Bengal. P.٢١٤ , ٢١٥.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India, Vol. III,p.٢٧٢.

[٤] Ali, Muhammad Mohar. OP.Cit.. Vol. ١,P.٨٨,٨٩.

Hussain, Syed Ejaz. OP.Cit., p.٢٣,٢٤.

[٥] Hussain, Syed Ejaz. OP.Cit..P.١١٣.

الدين، وأتم بنائها سنة(٩٠٧هـ / ١٥٠١م)، كما بنى مدرسة جميلة في "فيروزبور" في نواحي "غور"، وقد أتم بناءها سنة(٩٠٩هـ / ١٥٠٣م).[١]

كما زخرت البنغال بالخانقاوات التي لعبت دوراً كبيراً ثقافياً واجتماعياً ودينياً، فكانت منارات للعلم، يلقن فيها مشايخ الصوفية تعاليم الإسلام والتصوف لمريديهم من المسلمين والهندوس، كما كانت استراحات للمسافرين، وواحة للفقراء والمساكين، وقدمت مطابخها الوجبات للفقراء، ومن أهم هذه الخانقاوات خانقاه الشيخ "جلال الدين التبريزي" في جبال "كمروب".[٢] والخانقاه في "سيان" التي بناها أحد التجار الأتقياء سنة(٦١٨هـ / ١٢٢١م)، والخانقاوات التي أنشأها "غياث الدين إيواز الخلجي" [٣]، وخانقاه الصوفية في "بندوه" التي ألحق بها ضريح الصوفي الشهير "نور قطب عالم" الذي بنى في عهد السلطان "أبو النصر مظفر شاه" سنة (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م)، والخانقاه في مدينة "بورنيه" التي أنشئت سنة (٩٤٣هـ / ١٥٣٦م) في عهد السلطان "غياث الدنيا والدين أبو المظفر محمود شاه بن السلطان حسين شاه"، وبانيها الأمير "بلبان". وخانقاه الشيخ "عمر بن أسعد اللاهوري البندوي" التي أشرف على رعايتها في حياته وبعد وفاته ابنه الصوفي "نور الدين أحمد" (ت٨١٨هـ / ١٤١٥م) حتي أنه كان يقوم بكنسها وتنظيف بيت الخلاء بها بنفسه، وتولى الشياخة بها بعد وفاة والده.[٤] كما بنوا خلوات العبادة مثل الخلوة التي

---

[١] محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال، ص١١٠، ٢٢٠، ٢٢٤.

[٢] ابن بطوطة: الرحلة، ج٢، ص١٤٩.

[٣] Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslim of Bengal. Vol. ١,P.٨٨,٨٩.

Hussain, Syed Ejaz. The Bengal Sultante, p.٢٣,٢٤.

[٤] عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، ج٣، ص٢٣٥.

بناها "خان الأعظم أبو الفتح يوزبك السلطاني" سنة (٦٥٢هـ / ١٢٥٤م)، والهدف من بنائها كما ورد في نقشها أن ينتفع بها "المتقين المحبين للقرآن والصالحين والأبرار والذاكرين بالليل والنهار".[١]

ومن المنشآت الاجتماعية السقايات أو الأسبلة، وقد عد إنشائها من أعمال الخير والبر التي حث الإسلام على مثلها، واعتبر بناؤها صدقة جارية لبانيها، ولذلك اهتم سلاطين البنغال بإنشائها وخاصة السلطان "علاء الدين حسين شاه" وأسرته، ومن السقايات التي أنشأها السلطان "علاء الدين حسين شاه" سنة(٩١٠هـ / ١٥٠٤م) السقاية المقامة في مدينة "غور"، والسقاية في قرية "منغلكوت" بمقاطعة "بوردوان" غرب البنغال التي أنشأها سنة(٩١٦هـ / ١٥١٠م)، كما أنشأ سقاية بجوار مسجد جامع في قرية "سالكوليبور" بمقاطعة "بوردوان" سنة (٩١٦هـ / ١٥١٠م)، وأنشأ سقاية في نفس المقاطعة في "نوتن هات" سنة(٩١٩هـ / ١٥١٣م)، والسقاية التي أنشأها أيضاً بالقرب من "ساغر ديغي" أي بركة البحر، وتقع بجوار قرية "خيرور" في "جنغيبور" بمقاطعة مرشد آباد"، وقد بناها سنة (٩٢١هـ / ١٥١٥م)، كما بني السقاية المقامة على طريق بادشاهي في قرية "سوري" بمقاطعة "بيربهوم" في البنغال، وقد بناها سنة (٩٢٢هـ / ١٥١٦م)، والسقاية الملحقة بضريح "سيد شاه" في "كترا" "بمالده" القديمة، وقد بنيت سنة (٩٣٨هـ / ١٥٣١م) في عهد السلطان

---

[١] محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال، ص٩٧، ١٠٢، ١٠٣، ٢٠٥، ٢٩٢.

"نصرت شاه بن حسين شاه".[١] وقد أنشأ السلطان "علاء الدين حسين شاه" كثيراً من الاستراحات في أمكان مختلفة في كل مقاطعة بالبنغال.[٢]

ختاماً فإنه يتبين لنا مدي الزخم في الحياة الاجتماعية للبنغال عصر السلاطين، فقد عجت بعناصر مختلفة من السكان المحليين والمسلمين المهاجرين، وما ترتب على ذلك من تنوع كبير في العادات والتقاليد والأعياد والاحتفالات، وقد خضعت هذه العناصر لتنظيمين طبقيين مختلفين: النظام الطبقي الإسلامي والنظام الطبقي الهندي، وعلى الرغم من هذا التباين إلا إن الشعب البنغالي بكافة أطيافه نجح في الانصهار في بوتقة واحد بفضل العلاقات الودية بين المسلمين والهندوس، وجهود سلاطين البنغال في هذا الأمر، ولا يمكن أن ننسى الدور الكبير الذي لعبته المرأة البنغالية في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما كان للمؤسسات الاجتماعية دور كبير في النهضة الاجتماعية والثقافية في البنغال، وقد دلت كثرتها على الازدهار الاجتماعي الذي تمتع به الشعب البنغالي إبان حكم السلاطين.

---

[١] محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال، ص٢٣٠، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٨٦.

[٢] Salim, Gulam Husain. The Riyazu al Salatin, p.١٣٣.

Haig, Wolseley. The Cambridge History of India, Vol. III, p. ٢٧٢.